







طبع بإشراف مؤسسة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز الخيرية




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦)

شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

لكتاب

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله تعالى

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الخيرية



مدار الوطن للنشر

ح مدار الوطن للنشر، ١٤٣٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله

شـــرح سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله لكتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله /عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن باز.

- الرياض ١٤٣٥ هـ

١٥٤ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٥-٣-٩٠٥٣٨-٦٠٣-٩٧٨

١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد أ. العنـــوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٥/٢٦٢٠

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٢٦٢٠

ردمك: ٥-٣-٩٠٥٣٨-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ/٢٠١٤م



هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط)

فاكس: ٠٠٩٦٦١١٤٧٢٣٩٤١

الموقع على الإنترنت:
www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني:
pop@madaralwatan.com

مقدمة اللَّجنة العلميَّة

الحمد للَّهِ رَبِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فَيطيب لـ «مؤسسة عبد العزيز ابن باز الخيرية» أن تضع بين يدي القارئ الكريم شرح سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لرسالة العقيدة الواسطية، ضمن إصداراتها لشروح وتعليقات سماحة الشَّيخ على كتب أهل العلم.

والرِّسالة الواسطية كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لأهل واسط بيَّن لهم فِيها عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة فِي باب الإيمان عامةً، وركَّز فِيها على الإيمان باللَّهِ وأسمائه وصفاته، ولأهميَّة هذه الرِّسالة نالتْ العناية التَّامة، والاهتمام البالغ من العلماء قديمًا وحديثًا، فعكفوا على تدريسها وشرحها، ومنهم سماحة شيخنا الشَّيخ/عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ فقد شرحها شرحًا نفِيسًا متوسطًا، ليس فِيه تطويلٌ مُمِلٌ، ولا إيجازٌ مخلٌ، بألفاظٍ قليلةٍ، وعباراتٍ موجزةٍ واضحةٍ، ينتفع بها طالب الحقِّ فِي معرفة معتقد أهل السُّنَّة والجماعة فِي الإيمان باللَّهِ وأسمائه وصفاته، والإيمان باليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب؛ ولذا قررت اللَّجنة العلميَّة فِي مؤسسة عبد العزيز ابن باز الخيرية إخراج شرح سماحة الشَّيخ فِي كتاب مطبوع ليعم نفعه وخيره الأمَّة.

علمًا بأنَّ هذا الشَّرح هو تفريغ من تسجيل صوتي لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ وقد اعتنى به فضيلة الشَّيخ/ علي بن صالح بن عبد الهادي المرِّي حفظه اللَّه.

وراجعه فضيلة الشَّيخ الدكتور/ عبد العزيز بن محمَّد الوهيبي حفظه الله، نسأل اللَّه أن يكتب لهما الأجر والمثوبة.

كما نسأل اللَّه أن يجزي كلّ من تسبَّب فِي إخراج هذا المادة وعلى رأسهم سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشَّيخ عبدالعزيز بن عبداللَّه بن محمَّد آل الشَّيخ، وفريق العمل بالرئاسة على ما بذلوه من جهد في المراجعة والمطابقة، وكلَّ من ساهم في ذلك من طلاب العلم والباحثين أن يجزيهم اللّه خير الجزاء.

كما نسأله أن يأجر كلّ من ساهم في طبعه ونشره، وأن يجعل هذا الشَّرح من العلم النَّافع الَّذي يجري أجره على سماحة شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ.

كما نسأله سبحانه أن يجمعنا به فِي الفردوس الأعلى، إنَّهُ وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصلَّى اللَّه على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللَّجنة العلميَّة

بمؤسسة عبد العزيز ابن باز الخيريَّة

تعريف بسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

* **اسمه ونسبه وكنيته ولقبه**: هو سماحة الشيخ الإمام العَلَم المجتهد، بقيَّة السَّلف، ومفتي المسلمين، أبو عبد الله عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن باز، **لقبه**: ابن باز رحمه الله.

* **مولده ونشأته**: ولد في الرياض في [١٢] من شهر ذي الحجة سنة [١٣٣٠هـ].

ونشأ بها في بيت عامر بالصَّلاح وحبِّ الخير في حجر والدته، فقد توفي والده [١٣٣٣هـ] وعمره دون الثَّالثة، فعاش يتيمًا، وتربى في حضن والدته، وقد أحسنت تربيته وتنشأته رحمها اللَّه، وقد توفيت سنة [١٣٥٦هـ] وكان لها دور بارز في توجهه نحو العلم الشَّرعي، كما كانت كذلك البيئة في ذلك الوقت بيئة علميَّة، يوجد في الرِّياض كبار أئمة الدَّعوة السَّلفيَّة في هذا العصر.

* **حياته العلمَّية والعمليَّة**: تلقى تعليمه على يد كوكبة من علماء الدَّعوة السَّلفية من أبرزهم: محمَّد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشَّيخ رحمه الله، والَّذي أخذ عنه جميع العلوم الشَّرعيَّة.

أمَّا حياته العمليَّة: فقد تولى عدة أعمال منها:

- القضاء في منطقة الخرج بالدلم من (١٣٥٧هـ - ١٣٧١هـ) ثُمَّ.
- التَّعليم في منطقة الرياض والمدينة من (١٣٧١هـ - ١٣٩٥هـ).
- ثُمَّ تمَّ تعينه رئيسًا لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء، والدَّعوة والإرشاد برتبة وزير من (١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ حتى ١٤/ ٠١/ ١٤١٤هـ).

- وقد عُيِّن مفتيًا عامًا للمملكة، ورئيسًا لهيئة كبار العلماء، ورئيسًا للَّجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء من (٢٠/ ٠١/ ١٤١٤هـ) وبقي في هذا المنصب إلى أن توفي رحمه الله رحمة واسعة.

* **مؤلفاته**: له العديد من المؤلفات أكثرها قد جمع ضمن كتابه المشهور مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، كما حوّلت تسجيلات برنامجه الإذاعي نور على الدَّرب إلى كتاب بعنوان: «فتاوى نور على الدَّرب» صدر منه حتَّى إعداد هذه الترجمة **٢٥** مجلدًا من جمع وترتيب فضيلة الدكتور/ محمَّد بن سعد الشويعر حفظه اللَّهُ بإشراف مفتي عام المملكة الشيخ/ عبدالعزيز بن عبداللَّه آل الشيخ وفقه اللَّهِ لكلٍّ خير.

كما أصدرت مؤسسة عبدالعزيز ابن باز الخيريَّة بعض تعليقات وشروح سماحته لبعض كتب أهل العلم منها كُتب الإمام المجدد الشَّيخ/ محمَّد بن عبدالوهَّاب رحمه الله كـ(كتاب كشف الشُّبهات، والقواعد الأربع، وفضل الإسلام)، و(كتاب الفتوى الحمويَّة، والعقيدة الواسطية) كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، و(كتاب التبَّصير في معالم الدِّين لابن جرير الطبري رحمه الله، وكتاب وظائف رمضان للشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، كما أشرفت المؤسسة على ما طبعه تلميذه الشَّيخ/ عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم وفقه اللَّهِ كتحفة الإخوان، وتحفة أهل العلم والإيمان، والتحفة الكريمة وغيرها.

* **وفاته**: توفي رحمه الله بالطَّائف قُبيل فجر يوم الخميس **٢٧** من شهر محرم سنة **١٤٢٠**هـ، وصُلِيَّ عليه بعد صلاة الجمعة بالمسجد الحرام، ودفن بمقبرة العدل رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

تعريف الشَّارح بالرِّسالة ومؤلفها رَحِمَهُ اللَّهُ

الحمد للَّه وصلَّى اللَّه وسلَّم على رسول اللَّه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أمَّا بعد:

فهذه الرِّسالة القيِّمة العظيمة، وهي المسماة بالعقيدة الواسطية كتبها المؤلف شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسَّلام بن تيمية الحرَّاني رَحِمَهُ اللَّهُ وهو إمام، وأبوه كذلك، وجده كذلك كُلُّهم من أئمة العلم والهدى.

والمتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة [٧٢٨هـ] وكان مولده سنة إحدى وستين وستمائة هجرية [٦٦١هـ] فقد عاش رَحِمَهُ اللَّهُ ثمانية وستون عامًا [٦٨].

جمع هذه العقيدة وكتبها إلى أهل واسط،من جهة العراق، وسميت «الواسطية»؛ لأنَّها كتبت لهم من جهة العراق، كما قيل «الحموية»؛ لأَنَّهُ كتبها لأهل حماة، وقيل: «الرسالة التدمرية»؛ لأَنَّهُ كتبها إلى أهل تدمر، وهي رسائل عظيمة.

التَّدمرية رسالة عظيمة، وهي أوسع من هذه، وهكذا الحموية فِيها نقولات كثيرة عن أئمة السَّلف رحمهم اللَّه.

وأمَّا هذه العقيدة الواسطية، فهي مختصرة مفِيدة جامعة لا أعلم لها نظيرًا، فِيما ألَّفه النَّاس لاختصارها وجمعها لعقيدة السَّلف الصَّالح بعبارات واضحة وأساليب حسنة رَحِمَهُ اللَّهُ.

شرح مقدمة المؤلف

قال المؤلف رحمه الله:

«الحمد للَّهِ الَّذي أرسل رسوله بالهدى، ودين الحقّ؛ ليظهره على الدّين كلّه وكفى باللَّه شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه، وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلَّى اللَّه عليه، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا مزيدًا، أمَّا بعد:

فهذا اعتقاد الفرقة النَّاجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السُّنَّة والجماعة، وهو الإيمان: باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره».

الشرح

يقول رحمه الله: «الحمد للَّه الَّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدِّين كلّه، وكفى باللَّه شهيدًا»: أرسل محمَّدًا ﷺ بالهدى ودين الحقِّ، كما قال جلَّ وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]، الهدى: العلم النَّافع، والأخبار الصَّادقة، يقال لها هدى، ودين الحقِّ: الشَّرائع المستقيمة العادلة من الأوامر والنواهي، واللَّه قد أرسله بعلم نافع، وعمل صالح، وشرائع مستقيمة ليظهره على الدِّين كلّه، بما أرسله من الهُدى، وكفى باللَّه شهيدًا على هذا الأمر العظيم.

ثُمَّ قال: «وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه، وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا» يعني: إقرارًا بأنَّهُ هو الواحد المستحقّ للعبادة، وهو الواحد فِي ذاته، وهو الواحد فِي صفاته وأسمائه، لا سميَّ له، ولا كفء له،

ولا شبيه له، وهو الواحد فِي ربوبيته، وخلقه لعباده لا خالق لهم غيره، الخلَّاق الرَّزاق، وهو الواحد في الإلهية لا يستحق العبادة سواه جلَّ وعلا: «إقرارًا به» يعني: بهذا التّوحيد العظيم «وتوحيدًا» أي: إفرادًا لله به سبحانه وتعالى.

ثُمَّ صلَّى على النَّبيِّ ﷺ كما فِي الحديث أَنَّهُ ﷺ أرشد من دعا أن يحمد اللَّه، ثُمَّ يصلِّي على النَّبِيِّ ﷺ، فيستحب في تقدمة الدُّعاء والمؤلفات حمد اللَّه، والثَّناء عليه، والشَّهادة له بالوحدانية، ولنبيِّه بالرِّسالة عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأنَّ هذا من أسباب قبول الدُّعاء، ومن أسباب التَّوفِيق، ولهذا قال فِي حديث فَضَالَة بنَ عُبَيدٍ رضي الله عنه: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَبدَأْ بِتَحمِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَدعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ**»[1].

ثُمَّ قال: «أمَّا بعد» وهي كلمة يؤتى بها للفصل بين ما قبلها وما بعدها، والمقصود: بها الانتقال، يعني: أمَّا بعد ما تقدَّم من الكلام.

«فهذا اعتقاد» يعني: فأقول هذا الذي ذكره هو اعتقاد «الفرقة النَّاجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السُّنَّة والجماعة»؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ أخبر أنَّ الأُمَّةَ تَفتَرِقُ إِلَى ثَلاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إلا وَاحِدَةٌ، قِيلَ: مَن هِيَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الجَمَاعَة**»[2]، وفِي لفظ:

---

(١) أخرجه أبو داود فِي كتاب الصَّلاة، باب الدُّعاء برقم (١٤٨١)، والترمذي فِي أبواب الدَّعوات عن رسول اللَّه ﷺ، باب فِي إيجاب الدُّعاء بتقديم الحمد والثَّناء والصَّلاة على النَّبِيّ برقم (٣٤٧٧)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم فِي المستدرك فِي كتاب الصَّلاة برقم (٨٤٠) ووافقه الذهبي التلخيص مع المستدرك (١/ ٢٣٠).

(٢) حديث افتراق الأمة قد رواه جمع من الصحابة رضي الله عنهم قال الحافظ العراقي أحاديث افتراق الأمة أسانيدها جياد كما فِي تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ٢٣٠)، =

«مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصحَابِي»[(١)].

فهؤلاء هم أهل السُّنَّة والجماعة، ويُقال: لهم الفرقة النَّاجية، ويُقال: لهم الفرقة المنصورة إلى قيام السَّاعة، ويقال لهم الطَّائفة المنصورة إلى قيام السَّاعة، وكلّها وصف لفرقة واحدة، يقال لها المنصورة، ويقال لها: النَّاجية، ويقال لها: أهل السُّنَّة والجماعة، ويقال لهم: أهل السُّنَّة، وهم الصَّحابة ﷺ، ومن سار على نهجهم فهم أهل السُّنَّة والجماعة وهم الفرقة النَّاجية أصحاب النَّبِيّ ﷺ ومن سار على طريقهم وسلك مسلكهم، واقتدى بهم، هؤلاء هم أهل السُّنَّة والجماعة، ويخرج من ذلك الجهمية، والمعتزلة، والمرجئة والقدرية، وكلّ من خالف الصَّحابة ﷺ، يكون من الفرق الاثّنتين والسبعين، وإنَّما يكون من الفرقة ـ النَّاجية ـ من سار على نهج الصَّحابة في توحيد اللَّه، والإخلاص له، واتِّباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه، كما جاء فِي كتابه وسنَّة نبيِّه ﷺ،هؤلاء هم أهل الفرقة النَّاجية.

= واللفظ المذكور عن عوف بن مالك ﷺ أخرجه ابن ماجه فِي كتاب الفتن، باب افتراق الأمم برقم (٣٩٩٢)، وأخرجه أبو داود عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: قام فِينا رسول الله ﷺ فَقَالَ: «ألا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ المِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ: الجَمَاعَةُ» فِي كتاب السُّنَّة، باب شرح السُّنَّة حديث رقم (٤٥٩٧)، كما أخرجه الحاكم فِي المستدرك فِي كتاب العلم برقم (٤٤٣). وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٢١٨)، والحديث صحيح بشواهده المتعددة.

(١) وهذا لفظ رواية عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخرجه الترمذي فِي أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فِي افتراق هذه الأمة برقم (٢٦٤١) وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الحاكم فِي المستدرك فِي كتاب العلم برقم (٤٤٤) ووافقه الذهبي (١/ ١٢٨) وحسن الحافظ ابن حجر إسناده فِي تخريج الكشاف (١/ ٦٣) برقم (١٧) ورواه ابن ماجه عن أنس ﷺ فِي كتاب الفتن، باب افتراق الأمم برقم (٣٩٩٣).

وعقيدتهم هي: الإيمان باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر - وفِي الرواية الأخرى - والبعث بعد الموت، وبالقدر خيره وشره، عقيدة أهل السنة والجماعة تتفرع من هذه الأصول السِّتة.

الإيمان باللَّه:

يدخل فيه الإيمان باللَّه الإيمان بأنَّ اللَّه واحد لا شريك له، وبأنَّه سبحانه أرسل الرُّسل، وأنزل الكتب، وشرع الشَّرائع، يدخل فِيها أركان الإسلام الخمسة: الصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والحج، داخلة في الإيمان باللَّه بأنَّه هو الواحد الأحد المستقل بالعبادة، وهو الَّذي شرع الشَّرائع، فشرع الصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والحجّ، وسائر الأحكام.

والإيمان بالملائكة:

يعني: الإيمان بكلٍّ من سمى اللَّه في كتابه، أو جاء في السُّنَّة الصّحيحة فأن أهل السُّنَّة يؤمنون به، من جبرائيل، وميكائيل، واسرافيل، وملك الموت، وخازن النَّار وغير ذلك، جميع الملائكة من فصِّل آمنوا به مفصلًا، ومن أُجمل كحملة العرش والكروبيون وغيرهم، يؤمن بهم أهل السُّنَّة مجملين، يؤمنون بأنَّ للّه ملائكة منهم حملة العرش، ومنهم الكروبيون: الَّذين يحتفون بالعرش، ومنهم من يتعاقبون فينا، ومنهم الملائكة الموكلون بنا، ومنهم جبرائيل وميكائيل، واسرافيل إلى غير ذلك، يؤمنون بهم جميعًا، وأنَّهم عبيد لِلَّه، كما قال اللَّه تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] كما ذكر اللَّه عنهم، وهم خير عباد الله؛ لكن أهل السُّنَّة والجماعة يرون أنَّ المؤمنين من البشر أفضل منهم بإجماع أهل السُّنَّة أنَّ المؤمنين من البشر أفضل منهم؛ لأنَّهم مُكلَّفون مبتلون

بالشَّهوة، فهم أفضل من هذه الحيثية إذا آمنوا واستقاموا.

وكتبه:

كذلك أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بكتب اللَّه المنزلة على الرُّسل جميعًا، ما عرفوه آمنوا به، كالتَّوراة، والانجيل، والزَّبور، والقرآن، وما لم يعرفوه آمنوا به مجملًا، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥] فأهل السُّنَّة يؤمنون بأنَّ اللَّه أنزل كتبًا على الرُّسل، وأنَّها حقٌّ، وأنَّ كتبه من كلامه جلَّ وعلا، ومنها التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، من جملة الكتب الَّتي أنزلها.

ورسله كذلك:

يؤمن أهل السُّنَّة والجماعة بالرُّسل، وأنَّ اللَّه أرسل الرُّسل من أوَّلهم نوح، ومنهم آدم عليه الصَّلاة والسَّلام، فهو رسول إلى ذريته إلى آخرهم محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، كلّهم حقٌّ كلهم بلغوا رسالات اللَّه، كلّهم بعثوا ليدعوا النَّاس إلى توحيد الله وطاعته، وينذرونهم الشِّرك والمعاصي، كلّهم من أولهم آدم إلى آخرهم محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام.

وسُميَ نوحًا أوَّل رسول؛ لأنَّه أوَّل رسول أرسل لأهل الأرض بعد ما وقع الشِّرك فيهم، وكانوا قبل ذلك على التَّوحيد تبعًا لشريعة آدم عليه الصَّلاة والسَّلام، ثُمَّ وقع الشِّرك في قوم نوح عليه السَّلام بسبب الغلو في ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر[١] فأرسل اللَّه نوحًا

---

(١) قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح اتخذوهم أوثانًا من دون اللَّه، ثُمَّ صارت للعرب بعدهم، أخرجه البخاري فِي كتاب التفسير فِي تفسير سورة نوح، باب ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] برقم (٤٩٢٠).

إليهم يدعوهم إلى توحيد اللَّه، وينذرهم نقمة اللَّه، فلما أصروا ولم يستجيبوا أخذهم الله بالطّوفان والغرق، نسأل اللَّه العافية.

وهكذا أهل السُّنَّة يؤمنون بالأصل الخامس، وهو: الإيمان باليوم الآخر، أو [البعث بعد الموت] أهل السنَّة: يؤمنون بأنَّ النَّاس يموتون والجنّ والإنس، وأنَّهم يبعثون.

والبعث يقال له: البعث الآخر، ويقال: اليوم الآخر، ويُسمَّى البعث بعد الموت كلّها جاءت بها النُّصوص، فاليوم الآخر بنص القرآن مذكور، وجاء في بعض الأحاديث البعث بعد الموت.

أهل السُّنَّة: يؤمنون بأنَّ النَّاس يموتون الجنَّ والإنس، وأنَّهم يبعثون ويجازون على أعمالهم، خيرها وشرها، كما بيَّن الله ذلك فِي قوله جلَّ وعلا: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧] لابدَّ من بعث النَّاس وجزائهم.

فاليوم الآخر هو البعث بعد الموت، يجازى الناس فِيه بأعمالهم إنْ خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النجم: ٣١] فالخلق لهم موعد هو يوم القيامة، إنْ أمهلوا فِي الدنيا، فماتوا ولم يعاقبوا، فإنَّ لهم موعدًا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] وهو يوم القيامة.

الرُّكن السَّادس [القدر]:

الإيمان بالقدر، وأنَّ اللَّه قدَّر الأشياء قبل خلق النَّاس، بقدره السَّابق، كما جاء فِي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ اللَّهَ قَدَرَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبلَ أَن يَخلُقُ السَّمَوَاتِ، وَالأَرضَ بِخَمسِينَ أَلفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرشُهُ عَلَى المَاءِ**»[1]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القَمَر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣] قدر سابق ثابت مكتوب، كما قال تعالى ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج: ٧٠].

فأهل السُّنَّة: يؤمنون بأنَّ اللَّهَ قدَّر الأشياء، وكتبها، قبل خلق النَّاس، وقبل وجود النَّاس بخمسين ألف سنة؛ بل قبل خلق الخلائق كُلِّها، قبل خلق السَّموات بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء فسبحانه وتعالى.

فهذه الأركان الستة هي أصول الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه فِي كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام برقم (٢٦٥٣)، وفيه بدل «قدر الله». «كَتَبَ الله».

الإيمان بإثبات صفات اللَّهِ تعالى

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومن الإيمان باللَّه: الإيمان بما وصف به نفسه فِي كتابه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيِّيف ولا تمثيل؛ بل يؤمنون بأنَّ اللَّه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن موضعه، ولا يلحدون فِي أسماء اللَّه وآياته، ولا يكيِّفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنَّه سبحانه لا سميّ له، ولا كفء له، ولا ند له، ولايقاس بخلقه سبحانه وتعالى، فإنَّه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلًا، وأحسن حديثًا، من خلقه».

الشرح

ومن الإيمان باللَّه، الإيمان بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، داخل فِي الإيمان باللَّهِ، الإيمان بما سمى اللَّه به نفسه: حكيم، عزيز، رؤوف، رحيم، قدير، إلى غير ذلك.

أو وصفه به رسوله ﷺ فِي الأحاديث الصَّحيحة يجب إثباتها لِلَّه، كما فِي الحديث الصَّحيح: «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ**»[١].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب الجهاد، باب الكافر يقتل المسلم، ثم يسلم فيُسدد بعد ويقتل برقم (٢٨٢٦)، ومسلم فِي كتاب الإمارة، باب بيان =

وفي الحديث الآخر: «**إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»[(١)] يعني: يوم القيامة، إلى غير هذا من صفات اللَّه جلَّ وعلا، التي جاء بها الكتاب العزيز، أو السنَّة المطهرة، يؤمنون بها أهل السُّنَّة ـ مع اعتقادهم ـ أنَّه لا سميَّ لهُ، ولا كفء له، ولا ندَّ له، يعني: لا مثيل له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى، فله الأسماء الحسنى والصِّفات العلى، فلا يمثلون صفاته بصفات خلقه جلَّ وعلا؛ بل يعلمون أنَّ صفاته تليق به لا يشبه فيها خلقه سبحانه وتعالى ليس له سميٌّ، كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مَريَم: ٦٥] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

فأهل السُّنَّة والجماعة: يثبتون صفات اللَّه وأسماءه على الوجه اللَّائق به سبحانه وتعالى، فلا ينفون صفاته، ولا يحرِّفون كلمه عن مواضعه؛ بل يؤمنون بكل ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من أسماء اللَّه، وصفاته على الوجه اللَّائق باللَّه جلّ وعلا من غير تحريف.

والتحريف: هو تغيير الكلام بالزيادة، أو النقص، ولا تعطيل للصفات، ـ بنفيها أو تأويلها، أو تاويل معناها ـ.

= الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة برقم (١٨٩٠)، وتمامه: فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!؟ قَالَ: «يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فيسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى القَاتِلِ: فيسْلِمُ، فيقَاتِلُ في سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فيسْتَشْهَدُ..».

(١) متفق عليه في حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [هُود: ٢٥] برقم (٣٣٤٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٤).

ولا تكييف: يعني: لا يقولون: استواؤه كيفيته كذا، أو نزوله كيفيته كذا، أو غضبه كيفيته كذا، لا، لا يكيِّفون.

ولا تمثيل: لا. يقولون: غضبه مثل كذا، أو استواؤه مثل كذا، أو سمعه مثل كذا، أو بصره مثل كذا، لا.

يثبتون صفات اللَّه وأسماءه على الوجه اللَّائق باللَّه، لا يغيِّرون، ولا يحرِّفون، ولا يمثلون، ولا يعطلون، ولا يكيفون: قاعدتهم فِي ذلك: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ولما سئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من السلف عن هذا قال: «**الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**»(١).

بل هو سبحانه وتعالى موصوف بأسمائه، كما أخبر من دون زيادة، ولا نقص، وهي صفات حقيقية، استواء حقيقي، سمع حقيقي، رضًا حقيقي، غضب حقيقي لا مجاز على الوجه اللَّائق باللَّهِ.

فلا نكيف، ولا نمثل، ولا نشبه، ولا نحرف؛ بل نجري الأمور على ظاهرها كلّ ما جاء في النّصوص نمرها كما جاءت، كما قال السلف: «أَمِرُوهَا كَمَا جَاءَتْ»(٢) من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن

---

(١) هذا الأثر مروي عن عدد من السلف منهم الإمام مالك، وشيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن، والإمام الشافعي والأوزاعي، والثوري، وغيرهم من الأئمة، وقد روي عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا موقوفًا ومرفوعًا، وسيأتي تخريجه عند ذكر شرح آيات الاستواء إن شاء الله في صفحة (٤١).

(٢) «بلا كيف» هذا الأثر أخرجه الخلال فِي السُّنَّة (١/ ٢٤٣) والآجري في الشريعة برقم (٧٢٠) (٣/ ١١٤٦)، والدارقطني في الأسماء والصفات برقم (٦٧) (١/ ٤٤) وابن مندى في التوحيد برقم (٨٩٤) (٣/ ٣٠٧) واللالكائي في شرح عقيدة أهل السنة والجماعة برقم (٩٣٠) (٣/ ٥٢٧) والصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٢٤٩)، =

غير تأويل نمرُّها مع الإيمان بأنَّها حقٌّ، وأنَّها صفات ثابتة للَّه، وأنَّ اللَّه موصوف بها حقيقة من دون تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكيِّيف، ولا تعطيل، هكذا قال أهل السُّنَّة والجماعة.

* * *

= والبيهقي فِي السنن الكبرى (٣/ ٢) وفي الأسماء والصّفات برقم (٩٥٥) وقد صححه ووافقه الشيخ الألباني في مختصر العلو برقم (٧٤) ص (١٤٢)، وذكره شيخ الإسلام في فتاواه ينظر/ مجموع شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٤٠٨، ٤٢٥، ٣/ ٤٥١)، كما ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه أصول الإيمان (ص ٤٣) وقد أورده سماحة الشيخ ابن باز في فتاواه. ينظر/ مجموع فتاوى ومقالات متنوعة/ جمع وترتيب د. محمد بن سعد الشويعر (١/ ١١، ٢/ ٩١، ٦/ ٢٤٥) الطبعة الثانية نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض ١٤١٦هـ.



الإيمان بصدق الرُّسل عليهم السَّلام فِي كلِّ ما أخبروا به

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثُمَّ رسله صادقون مصدّقون بخلاف الذين يقولون: عليه ما لا يعلمون، ولهذا قال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصَّافات: ١٨٠-١٨٢] فسبح نفسه عمَّا وصفه به المخالفون للرُّسل، وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه: من النَّقص والعيب، وهو سبحانه قد جمع فِيما وصف وسمى به نفسه بين النفِي والإثبات، فلا عدول لأهل السُّنَّة والجماعة عمَّا جاء به المرسلون، فإنَّه الصِّراط المستقيم، صراط الذين أنعم اللَّه عليهم من النَّبيِّين والصِّديقين والشُّهداء والصَّالحين، وقد دخل فِي هذه الجملة ما وصف الله به نفسه فِي سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن حيث يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وما وصف به نفسه فِي أعظم آية فِي كتابه حيث يقول: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

الشرح

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثُمَّ رسله صادقون مصدّقون» يعني: أخبر عن نفسه، كما تقدَّم فيما ذكره المؤلف من الإيمان باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله

إلى آخره، وأنَّه أعلم بنفسه، وبخلقه، وأنَّه لا يُقَاسُ بخلقه سبحانه وتعالى.

ثُمَّ رسله أيضًا صادقون مُصَدَّقُون فيما أخبروا به، فالَّذي أخبر به القرآن أخبرت به الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام، وأفضلهم وإمامهم وخاتمهم محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام أخبر بأنَّه سبحانه هو العلي الأعلى، وهو مستوٍ على العرش، وهو الَّذي يعطي ويمنع، وهو القادر على كل شيء، وهو المستحق للعبادة، فجاءت السُّنَّة بأوصافه العظيمة سبحانه وتعالى، وأنَّه إله الحقّ المستحقُّ؛ لأَنَّ يعبد كما دلَّ عليه القرآن، والرُّسل عليهم السَّلام صادقون وفيما أخبروا به عن اللَّه.

ومُصَدَّقُونَ، يعني: يجب تصديقهم على كلِّ مكلَّف، وهم ما جاءهم من عند اللَّه إلَّا الصّدق، فهم صادقون، ومصدَّقون ومصدَّقُون.

فالواجب على جميع المكلَّفين تصديقهم، والعمل بما جاءوا به، فكلُّ أمَّة تعمل فِيماجاء به رسولها، ورسول هذه الأمَّة محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، يجب عليهم أن يتبعوا ما جاء به،وينقادوا لشرعه،كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف: ١٥٨].

فالواجب على جميع المكلَّفين اتِّباع هذا الرسول ﷺ فِيما جاء به من الكتاب والسُّنَّة من الأحكام الشَّرعية من فعل، وترك، ومن ذلك ما أخبر به عن اللَّه وأسمائه، وصفاته، فيجب تصديقه فِي ذلك، والإيمان بكلِّ ما أخبر به من أسماء اللَّه وصفاته إيمانًا بريئًا من التَّمثيل مع تنزيه اللَّه عن مشابهته خلقه تنزيهًا بريئًا من التعطيل.

ولهذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «بخلاف الَّذين يقولون: عليه ما لايعلمون» من الكفرة والجهلة؛ ولهذا سبَّح نفسه عمَّا، يقوله الكذَّابُون، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصَّافات: ١٨٠-١٨٢].

فحمد نفسه؛ لأنَّه الكامل فِي ذاته، وأسمائه، وصفاته، فقال تعالى: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ونزَّه نفسه عَمَّا يقوله المخالفون للرُّسل من أعدائه، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصَّافات: ١٨٠] يعني: عمَّا يصفه به أعداء الله من الكفرة من اتخاذ الولد، والصَّاحبة، ومن أنَّ له شريك، فكل هذا باطل نزَّه نفسه عنه، لم يتخذ صاحبةً، ولا ولدًا.

وهو سبحانه الفرد الصَّمد، ليس له شريك؛ بل هو الإله الحقُّ، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣] وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من نفي النَّقص والعيب، فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصَّافات: ١٨١]؛ لأنَّهم سلَّموا للَّه بما أخبرهم به، وانقادوا له، وبلغوا الأمم، فهم سَالِمُونَ مُسَلِمُون صادقون فِي نفس الأمر مُصَدِّقُونَ ومُصَدَقُونَ، ثُمَّ حمد نفسه، فقال تعالى: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصَّافات: ١٨٢] لكمال ذاته، وكمال صفاته، وأفعاله سبحانه وتعالى، ولهذا فله الحمد المطلق.

وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النَّفْيُّ والإثبات في الآيات والأحاديث، فالنفي مجمل، والإثبات المفصل، هذه هي طريقة القرآن والسُّنَّة نفي مجملٌ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشّورىٰ: ١١] ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مَريَم: ٦٥]

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] إلى غير ذلك من الآيات.

وإثباتٌ مُفَصَّلٌ: هو العزيز، الحكيم، الرؤوف، الحليم، اللَّه أحدٌ، اللَّه الصَّمد، الغفور، الرحيم، الملك، القدوس، السَّلام، إلى غير ذلك من أسمائه، وصفاته المفصَّلة سبحانه وتعالى.

في آيات القرآن، وفي السُّنَّة أيضًا جمع بين النفي والإثبات، النفي المجمل الذي يتضمن تنزيه الرَّب عن كلِّ ما لا يليق به وتقديسه سبحانه وتعالى، عمَّا يقوله أعداء الرُّسل عليهم السَّلام، وبين الإثبات المفصل من أسمائه، وصفاته سبحانه وتعالى، فلا عدول لأهل السُّنَّة والجماعة، أي: ليس لهم معدل عمَّا جاء به المرسلون، فإنَّه الصِّراط المستقيم، وهو توحيد اللَّه، وطاعته، والإيمان به، وبأسمائه وصفاته، وأنَّه لا شبيه له، ولا كفء له، ولا ندَّ له سبحانه وتعالى.

فهذا هو صراطه المستقيم، الَّذي قال اللَّه فيه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] صراط: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] صراطهم: هو الإيمان باللَّه، وبأسمائه وصفاته، وتنزيه اللَّه عن مشابهة خلقه، ووصفه بصفات الكمال، وطاعة أوامره، وترك نواهيه والوقوف عند حدوده، هذا هو الصَّراط المستقيم، صراط: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] فجمع بين التفصيل فِي الإثبات، والإجمال في النفي، فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤] فذكر أنَّه اللَّه، وأنَّه أحد، وأنَّه الصمد، ثُمَّ قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وهذا تفصيل خاص بنفي الولادة لِمَا يترتب عليه من النقائص، ثُمَّ عمم، فقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن

لَهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ ومثل قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وهكذا فِي آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فنفى عنه السِّنَة وهو: النَّعاس، والنوم: وهو ما ثقل من النوم؛ لأنَّه سبحانه موصوف بكمال الحياة؛ لأنَّ النعاس والنوم نقص فِي الحياة، واللَّه منزه عن ذلك، هو الحي الذي لا يموت، والنوم: نوع من الموت، فهو سبحانه حي لا يموت ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يعني: مالك لكل شيء ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يعني: لا أحد يشفع عنده إلَّا بإذنه يوم القيامة، والرُّسل والصَّالحون يشفعون بإذنه سبحانه وتعالى.

أمَّا فِي الدُّنيا فاللَّه سبحانه أمر النَّاس جميعًا أن يدعوه، ويخصوه بالدُّعاء، ويشفعوا لإخوانهم فِي اللَّه فِي الدُّنيا، وكان النَّبِيُّ ﷺ يشفع إذا طلب منه الشَّفاعة؛ إذا طلب منه أحد أن يُشفى، أويتخلص من كرب أو نحو ذلك، فَيدعو لهم عليه الصَّلاة والسَّلام[١].

(١) عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي اللَّه عنهما: «أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي... فَدَعَا لَهَا..» أخرجه البخاري فِي كتاب المرضى، باب فضل من يصرع من الريح برقم (٥٦٥٢)، ومسلم فِي كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فِيما يصيبه من مرض أو حزن ونحوه نحو ذلك برقم (٢٥٧٦)، وكذا قوله ﷺ لبريرة رضي الله عنها: لَمَّا قَالَتْ: أَتَأْمُرُنِي يَا رَسُولُ اللهِ؟ أَيْ: بِالرُّجُوعِ إِلَى مُغِيثٍ رضي الله عنه قَالَ: «لا إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ»، أخرجه أبو داود فِي كتاب الطلاق، فِي باب المملوكة تعتق وهي تحت حرٍّ أوعبد برقم (٢٢٣١)، وصححه ابن حبان برقم (٤٢٧٣)، كان إلحاق قصة بريرة بناء على توصية المراجع آل عبداللطيف.

أمَّا يوم القيامة، فلا أحد يشفع إلَّا بإذنه، أمَّا فِي الدُّنيا يشفعون بإذنه العام؛ لأنَّه أذن فِي الشَّرع أن يشفع المسلمون بعضهم فِي بعض فقال: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النِّسَاء: ٨٥] أذن لهم سبحانه وحثَّهم على هذا، وعلى التَّعاون على البر والتَّقوى، والتَّناصح والتَّواصي بالحقِّ، والشَّفاعة من التَّواصي بالحقِّ، ومن الإحسان، فهي جائزة فِي الدُّنيا بإذنه العام سبحانه، وفِي الآخرة لا تصلح الشَّفاعة إلَّا بإذن خاص، لا أحد يشفع إلَّا بإذنه سبحانه، ولهذا يتقدَّم النَّاس يوم القيامة إلى آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السَّلام كلّهم يعتذورن حتى يتقدَّم نبينا محمد عليه الصَّلاة والسَّلام، فيسجد بين يدي ربِّه تحت العرش، ثُمَّ يحمد اللَّه بمحامد عظيمة يفتتحها عليه، ثُمَّ يؤذن له يقال: «اشْفَعْ تُشَفَّعْ»[1].

فهذه الآية آية الكُرسيّ أعظم آية فِي كتاب[2] اللَّه فيها إثبات، ونفي ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ هذه إثبات ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ هذا نفي ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا إثبات ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ نفي ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ إثبات ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

---

(١) طرف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل فِي الشَّفاعة متفق عليه، وقد سبق تخريجه.

(٢) كما فِي سؤاله عليه السَّلام لأبي بن كعب رضي الله عنه عن أعظم آية فِي القرآن؟ فقال أبي رضي الله عنه ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فَضَرَبَ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: «لِيَهْنَكَ العِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ..» أخرجه مسلم فِي كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي يرقم (٨١٠).

فبيَّن كماله، وأنَّه العلي العظيم، وأنَّه كامل الحياة الحيُّ القيوم، وأنَّه المالك لكلِّ شيء، فالواجب الضَّراعة إليه وسؤاله سبحانه وتعالى، واللّجوء إليه فِي كلِّ شيء بيده تصريف الأمور؛ ولهذا يقول سبحانه: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ويقول: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النِّسَاء: ٣٢] ويقول جلَّ وعلا ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

* * *



الإيمان بأَوَّلِيَّة الله وأزليِّته

وإثبات علمه وسمعه وبصره، ومشيئته، وإرادته

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] وقوله سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢].

وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾ [فاطر: ١١]، وقوله ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف: ٣٩] وقوله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

الشرح

هذه الآيات قد جمع الله، فِيها ما سمى به نفسه، ووصف به نفسه بين النَّفي والإثبات، وفيها يثبت صفات الكمال لنفسه، وينفي عنه صفات النقص والعيب، وقد تقدَّم الكلام فِي آية الكرسي، وما فيها، وقل هو اللَّه أحد، وما فيها.

وهكذا قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] أثبت أنَّهُ، الأَوَّلُ: الذِّي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ: فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ: فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ: فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**»[1]، فهو الظَّاهِرُ: فوق عباد جميعًا، ليس فوقه شيء، وَالبَاطِنُ: ليس دونه شيء يعلم كلّ شيء لا تخفى عليه خافِية.

وهكذا آيات العلم الَّتي ذكرها بعده: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التّحريم: ٢] وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطّلاق: ١٢] وغير ذلك من الآيات الَّتي فِيها العلم والحكمة، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٠].

وآيات الرِّزق والقوة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذّاريَات: ٥٨].

وآيات المشيئة، وآيات الإرادة كُلُّها تدلُّ على عظمته سبحانه، وأنَّه سبحانه له المشيئة الكاملة، وله الإرادة الكاملة، وله العلم الكامل له القدرة الكاملة، كلُّها صفاته جلَّ وعلا، ولكن على وجه لا يشابه

---

(١) أخرج هذه الصفات الأربعة ومعانيها عن أبي هريرة رضي الله عنه مسلم فِي كتاب الذكر والدعاء، باب ما يكون عند النوم وأخذ المضجع برقم (٢٧١٣).

عباده، قوته ليست مثل قوة عباده؛ بل قوته أكمل شيء، وهكذا جميع الصِّفات هو فيها على وجه الكمال ـ المطلق ـ ولهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] فعلمه كامل ليس كعلم المخلوقين، ولا تخفى عليه خافية، وهكذا حكمته وقدرته، وقوته، وحلمه، وسمعه، وبصره، كلّها لها صفات الكمال ليس فِيها نقص، ولايشابهه عباده فِيها، بخلاف صفات المخلوقين، فهي ناقصة ضعيفة.

أمَّا هو سبحانه وتعالى فجميع الصَّفات على وجه الكمال، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ولكماله قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي: لا سمي يدانيه لكماله.

والمشيئة: بمعنى الإرادة الكونية، يعني: أن مشيئته نافذة لا يردها شيء، ما شاء الله كان من موتٍ، أو حياةٍ، أو عزٍّ قوم، أو ذلّ قومٍ، أو زوال ملك، أو ثبات ملك، أو ولادة أو عدمها، كل ذلك نافذ ما شاء اللَّه، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣] إلى غير ذلك.

والإرادة هي قسمان أيضًا: إرادة كونية كالمشيئة النَّافذة الَّتي لا يردُّها رادَّ مثلها، كما فِي قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، فهذه إرادة كونية نافذة، كالمشيئة لا رادَّ لها.

أمَّا الإرادة الشَّرعية: الَّتي بمعنى المحبة والرضا، فهذه تقع، وقد لا تقع، وهي: مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النِّساء: ٢٦-٢٧]؛ فهذه إرادة شرعية قد تقع، وقد لا تقع، يريد الله أن يهدي المسلمين جميعًا، يريد أن يتوب عليهم؛ لكن إرادة شرعية أكثر الخلق ما تِيبَ عليهم أكثرهم يموت على الكفر، فالإرادة الشَّرعية قد تقع، وقد لا تقع.

فاللَّه أراد شرعًا للإنسان أن يقبل الحقّ، ويتّبع الرَّسلَ، وأن يطيع اللَّه، ثُمَّ منهم من أطاع، ومنهم من عصى، فمن أطاعه فله الجنَّة، ومن عصاه فله النَّار، كما قال جلَّ وعلا: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النِّساء: ١٣-١٤] كلّهم متوعدون، فمن أطاع باختياره وإرادته فله الجنَّة، ومن عصاه فله النَّار هذه الإرادة الشَّرعية.

أمَّا الكونيَّة فلا يخالفها أحدٌ ما أراد اللَّه أنَّه يقع كونًا، فإنَّه يقع من هلاك قوم أو عزّهم، أو موت فلان، أو حياته أو زوال ملك فلان، أو بقائه أو غير ذلك، فالإرادة الكونية مثل المشيئة مرادها نافذ، وفق اللَّه الجميع.

❊ ❊ ❊

ذكر بعض ما جاء في القرآن من صفات الخالق جلَّ وعلا كالمحبَّة والرَّحمة والرِّضا، والغضب والكراهيَّة والسَّخط

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ :

قوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقوله: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] وقوله: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤] وقوله ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١ والنمل: ٣٠] وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] وقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] وقوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] وقوله: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] وقوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٨] وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

الشرح

هذه الآيات الَّتي فِيها صفة المحبة فِي آيات كثيرة، قد وصف اللَّه نفسه فِيها بالمحبة، بأنَّه يُحِبُّ، ويُحَبُّ، يُحِبُّ المتقين، وَيُحِبُّ المحسنين، ويُحِبُّ المقسطين، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١] كذلك أيضًا الرَّحمة، والرَّحمن، والرَّحيم، فهو رحيم، ورحمته وسعت كلَّ شيء، وهو أيضًا غفورٌ، ودودٌ، والودود: معناه الحبيب المحبوب، وهو أيضًا يرضى، ويغضب، ويسخط، ويكره ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩] ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة: ١٤] ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٨] وقال: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

كلّ هذه صفات حقّ، الرِّضا، والمحبَّة، والرَّحمة، والسُّخط والكراهة، كلّها يوصف بها جلَّ وعلا، كسائر الصِّفات على الوجه اللَّائق باللَّه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيِّيف، ولا تمثيل، فليست محبته كمحبة المخلوقين، وليس رضاه كرضاهم، وليس بغضه كبغضهم، وليست كراهته ككراهة المخلوقين، وليس مقته كمقتهم، وهكذا جميع الصِّفات الباب فِيها واحد، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النّحل: ٧٤] لا مثيل له، لاتضربوا لِلَّه الأمثال، ولا كفء له، ولا ند له، فجميع الصِّفات بابها واحد، فنقول: نؤمن بالله جلَّ وعلا، وبأسمائه الحسنى، وبصفاته العلا الثَّابتة

فِي القرآن والسُّنَّة الصَّحيحة على الوجه اللَّائق باللَّه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيِّيف، ولا تمثيل؛ بل نقول: صفاته كُلُّها حقٌّ، وأسماؤه كُلَّها حسنى، ونثبتها لله، كما أثبتها ـ هو لنفسه جلَّ وعلا ـ وأثبتها النَّبِيّ ﷺ وأثبتها أصحابه ﷺ، على الوجه اللَّائق باللَّه، صفاته لا تشبه صفات خلقه، وأسماؤه لا تشابه أسماء خلقه؛ بل هو سبحانه له الأسماء الحسنى، والمعاني العظيمة؛ لهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] لكمالها، وكمال معانيها سماها حسنى سبحانه وتعالى.

ولا يعلم كيف صفاته إلَّا هو سبحانه وتعالى، يعلم لا كعلمنا، ويرحم لا كرحمتنا، ويستوي لا كاستوائنا، وينزل لا كنزولنا، ويجيء لا كمجيئنا، ويغضب لا كغضبنا، ويرحم لا كرحمتنا، وهكذا القول فِي سائر الصِّفات: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

الاستواء معلوم، الرَّحمة معلومة، الغضب معلوم، المحبة معلومة، الإرادة معلومة، المشيئة معلومة، لكن الكيف مجهول، لا نعلم كيف استوى؟ ولا كيف يرحم؟ لا نعرف هذا اللَّه الَّذي يعلم به هو سبحانه وتعالى، لكن نعرف أنَّ المحبة غير الغضب، والغضب غير الرِّضا، والرِّضا غير المغفرة، وهكذا صفاته معانيها معلومة؛ لكن كيفيتها لا يعلمها إلَّا هو سبحانه وتعالى.

الغضب معروف ضد الرضا، والمحبة ضد الكراهة، والرَّحمة ضد الانتقام، يوصف بهذا، وهذا، يَرحم قومًا، ويُعاقب آخرين، وينتقم منهم، يرحم قومًا جاهدوا فِي سبيله واتقوه، ويغضب على آخرين، وينتقم منهم لعصيانهم إيَّاه، وكفرهم به، هكذا يُحِبُّ قومًا، ويكره

آخرين، كذلك يعطي قومًا، ويمنع آخرين، هو: المناع المعطي جلَّ وعلا هذا طريق أهل السُّنَّة وسبيلهم ومنهجهم الإيمان بالصِّفات، واعتقاد أنَّها حقٌّ، وأنَّها لائقة باللَّه، وأن معانيها حقٌّ، لكن لا يعلم كيفيتها إلَّا هو سبحانه وتعالى، وفق اللَّه الجميع.

❊ ❊ ❊

ذكر بعض صفات الله ممَّا جاء فِي القرآن الفعليَّة والذَّاتية كالإتيان والمجئ، والوجه، والعين، واليدين

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] وقوله: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢] وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وقوله: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٣-١٤] وقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] وقوله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ

هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢٢٠] وقوله: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠] ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩] وقوله: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] وقوله عن إبليس ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] وقوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

الشرح

هذه الآيات الكريمات كلُّها تشتمل على جملة من الصِّفات للرَّب عزَّ وجلَّ، فالواجب إثباتها لِلَّه على الوجه اللَّائق باللَّه سبحانه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيِّيف، ولا تمثيل، ومن ذلك قوله جلَّ وعلا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، فإتيان اللَّه يوم القيامة، ومجيئه يوم القيامة حقٌّ على الوجه اللَّائق باللَّه، فاللَّه لا يشابه خلقه فِي شيء من صفاته.

وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] هي: طلوع الشَّمس من مغربها.

وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن: ٢٧]، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] فيه إثبات الوجه لِلَّه حقٌّ له الوجه الكريم. وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المَائدة: ٦٤] موصوف باليدين أيضًا، كما له الوجه الكريم جلَّ وعلا.

كذلك له العين، كما قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩] وقوله: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمَر: ١٤] موصوف بالعين، والبصر، والسَّمع على الوجه اللَّائق به سبحانه، كلُّ هذه صفات يجب إثباتها لِلَّه على الوجه اللَّائق به.

وهكذا المكر ـ المقيَّد بالمقابل ـ قال: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٥٤]، والكيد: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦] وهو مكر، وكيد بحقٍّ يليق باللَّه، لا يشابه خلقه فِي مكره، ولا فِي كيده.

وهكذا سمعه، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ١٨١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحَج: ٧٥] إلى غير ذلك، من الآيات الكثيرات فيها السَّمع، وفيها العلم، والبصر.

وآيات كثيرات فيها المحبَّة كلَّ ذلك حقٌّ يجب إثباته لِلَّه على الوجه اللَّائق باللَّه ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مَريَم: ٦٥] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النّحل: ٧٤] كلَّها حقٌّ يجب إثباتها لِلَّه سبحانه وتعالى على الوجه اللَّائق باللَّه من غير تحريف، ولاتعطيل، ولاتأويل، له سمع لا كالأسماع، وبصر لا كالأبصار، وعين لا

كالأعين، ويد لا كالأيدي، وقدم لا كالأقدام، وهكذا بقيَّة الصفات يقول سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فصفاته حقّ تليق به لا يشابه فيها خلقه جلَّ وعلا، يجب إثباتها للَّه على الوجه اللَّائق باللَّه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، الباب واحد عند أهل السُّنَّة والجماعة، وهم أصحاب النَّبِيِّ ﷺ وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدِّين[١]، وفق اللَّهُ الجميع.

❊ ❊ ❊

(١) هذا التعريف لأهل السُّنَّة والجماعة. ينظر له/ الفصل في الملل والنحل لابن حزم (١/ ١٩٣).

إثبات الوحدانيَّة لِلَّه ونفي الشَّريك عنه تعالى وذكر جملة من صفاته واستوائه جلَّ وعلا

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ١-٢] وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢] وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤] وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] في سبعة مواضع: في سورة الأعراف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال في سورة يونس عليه السَّلام:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، وقال فِي سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وقال فِي سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال فِي سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال فِي سورة [ألم] السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، وقال فِي سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

الشرح

هذه الآيات كلّها فِي بيان جملة من صفات اللَّه ﷻ كالَّتي سبقت، وطريقة أهل السُّنَّة والجماعة فِي ذلك الإيمان بها، وإثباتها كما جاءت على الوجه اللَّائق باللَّه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهكذا ما جاء فِي السُّنَّة الصحيحة من صفات الله كُلِّها على هذا السَّبيل، يجب إثباتها للَّه على الوجه اللَّائق باللَّه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيِّيف، ولا تمثيل.

ومن ذلك قوله جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥] الأنداد: الأشباه والنظراء ليس له ند، ولا نظير، فقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، على سبيل الذَّم، يعني: بعض النَّاس يتخذ أندادًا، وهم المشركون، وقد نهى الله عن هذا بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] يعني: لا تتخذوا معه معبودات من أصحاب القبور، أو من الأنبياء، أو من الملائكة، أو من الجنِّ، أومن الأحجار كُلُّ ذلك باطلٌ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ

ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] الآية من سورة الحج، وقال فِي سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠].

فالواجب على جميع المكلَّفين أن يعبدوه وحده، وأن يتبرؤوا من الأنداد، وأن يعلموا يقينًا أنَّه لا ندَّ له، ولا مثل له، ولا كفء له، وأنَّ يعتقدوا ذلك، قال تعالى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣-٤] ويقول سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهكذا قوله ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١] ليس له وليٌّ من الذّل، له أولياء محبة وتقريب، ليس من الذل هو الغني عن كلِّ ما سواه هو العزيز القاهر الغالب، ليس له أولياء من الذُّل؛ ولكن أولياء يُحِبُّهم ويُحِبُونه، أطاعوه واتقوه، فهم أولياء له على سبيل المحبة لهم والتقريب لهم؛ لكونهم أطاعوه وعظموا أمره، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] هؤلاء هم أولياء اللَّه ليسوا من الذِّل، لكن من طريق المحبة والقربة لهم؛ لأنَّهم أطاعوه، واتبعوا شريعة رسوله ﷺ.

وهكذا جميع الآيات الَّتي فِيها ذكر الملك، والحمد، والقدرة، فهو المالك لكلِّ شيء، الخالق لكلِّ شيء، القادر على كلِّ شيء، العالم بجميع أحوال عباده كُلُّ هذا حقٌّ.

ومن هذا قوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الفرقان: ٢] ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣-٤] كلّ هذه الصِّفات

ثابتةٌ له جلَّ وعلا، وهو الخالق لكلِّ شيء، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وهو العالم بأحوال عباده: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١] سبحانه وتعالى.

وهو أيضًا موصوف بالاستواء فوق العرش فِي سبعة مواضع فِي سورة طه، وسورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة الرَّعد، وسورة الإسراء، وسورة لقمان، وسورة تنزيل السَّجدة، وسورة الحديد كُلّها ثابتة، ومعنى الاستواء: العلو والفوقيَّة، فمعنى استوى عليه، أي: ارتفع فوق العرش وعلا عليه، هو العالي فوق جميع خلقه، والعرش: سقف المخلوقات، واللَّه سبحانه: فوق العرش استوى، استواءً يليق بجلاله، لا يعلم كيفيته إلا هو سبحانه وتعالى.

ولهذا لما سئل الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ إمام دار الهجرة فِي زمانه، وأحد الأئمة الأربعة، قيل له يا أبا عبداللَّه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟، فعظَّم الأمر وعلته الرَّحضاء، يعني: العرق من شدة استغراب هذا السؤال؟! ثُمَّ قال: **«الاستواء: معلوم، أي: أنَّه العلو والارتفاع، والكيف: مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أُراك إلَّا رجل سوء، ثُمَّ أمر بإخراجه»**[1][2].

---

(١) هذا الأثر أخرجه عنه الدارمي أبو سعيد عثمان فِي الرد على الجهمية (ص٣٣)، واللالكائي فِي شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة برقم (٢/ ٣٩٨). والبيهقي فِي الأسماء والصِّفات برقم (٨٦٧)، وابن عبد البر فِي التمهيد (٧/ ١٥١) وقال عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري: إسناده جيِّد (١٣/ ٤٠٧) من الطبعة السَّلفية.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر قول الإمام مالك ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد روي عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا ومرفوعًا؛ ولكن ليس إسناده ممَّا يعتمد عليه، وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق مالك في أنا لا نعلم كيفية استوائه، كما لا نعلم كيفية ذاته: انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥).

وهكذا قال: بهذا المعنى سفِيان الثَّوري، والأوزاعي، والإمام أحمد، والإمام الشَّافعي، وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة الإسلام(١)، الباب واحد الاستواء: معلوم من جهة المعنى، العلو والارتفاع، والكيف: مجهول، لا يعلم كيف استوى إلَّا هو سبحانه وتعالى، والإيمان بذلك واجب علينا؛ لأنَّ اللَّهَ أخبر به عن نفسه، والسؤال عن الكيفية بدعةٌ أحدثها المتكلِّمون من الجهميَّة والمعتزلة وغيرهم.

وهكذا يقال فِي بقيَّة الصِّفات: الرَّحمة: معلومة، الرِّضا: معلوم، الغضب: معلوم، القدرة: معلومة، اليد: معلومة، القدم معلومة، لكن الكيف: مجهول، فلا نعلم كيف رحمته، ولا كيف غضبه، ولا كيف يده، ولا كيف قدمه، ولا كيف عينه، لا نعلم الكيفيات، ولا نخوض فيها نثبتها ونمرُّها، كما جاءت، نقول: إنَّه سميع، بصير، وأنَّ له يدين، كما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المَائدة: ٦٤] ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صَ: ٧٥] فِي الحديث الصحيح: **«أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَضَعُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطِ، قَطِ»**(٢).

وبيَّن سبحانه وتعالى أنَّه يغضب على من عصاه، ويرضى على من

---

(١) ذكر القول عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٣/ ١٩٥، ٦/ ٣٣٩) وقد كرر ذكر نسبة القول إليهم سماحة الشيخ فِي هذا الشرح فِي صفحة (٤٧، ٥٤) وفِي مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٦/ ٣٣٩، ٨/ ٣٣٨).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري فِي كتاب التَّفسير، باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [قٓ: ٣٠] برقم (٤٨٤٩)،(٤٨٥٠)، ومسلم فِي كتاب الجنة وصفة ونعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٦)، كما أخرجاه أيضًا عن أنس بن مالك ﷺ البخاري فِي الكتاب والباب السابقين برقم (٤٨٤٨)، ومسلم فِي الكتاب والباب المذكورين أيضًا برقم (٢٨٤٨).

أطاعه، يرحم عباده، كل هذه من صفاته جلَّ وعلا، «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ**»[١] فضحكه، ورضاه، وغضبه، وسمعه، وبصره، وسائر صفاته كلّها تليق به لا يشبه خلقه فِي شيء من ذلك، قاعدة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فأهل السُّنَّة والجماعة: يثبتون آيات الصِّفات، وأحاديث الصِّفات إثباتًا بلا تمثيل، وينزهون اللَّه جلَّ وعلا عن مشابهة خلقه تنزيهًا بلا تعطيل، تنزيهًا معه الإثبات بخلاف أهل البدع، فأهل البدع، قسمان آخران:

قسم أثبتوا ومثلوا، وقسم نفوا وعطلوا، وأهل السُّنَّة برآء من هؤلاء،وهؤلاء فالممثلة كُفَّار، والمعطلة كُفَّار، وأهل السُّنَّة هم: الَّذين أثبتوا من غير تمثيل، أثبتوا صفاته وأسماءه على الوجه اللَّائق باللَّه، إثباتًا بريئًا مِنَ التمثيل، ونزهوه عن مشابهة خلقه تنزيهًا بريئًا من التعطيل خلافًا للممثلة، وخلافًا للمعطلة من الجهمية، والمعتزلة وأشباههم.

فينبغي بل الواجب على المؤمن أن يسلك هذا المسلك، وأن يستقيم على قول أهل السُّنَّة، وهم أصحاب النَّبِيّ ﷺ، وأتباعهم بإحسان، إذا سئلت عنهم من هم أهل السُّنَّة؟ فقل: هم أصحاب النَّبِيّ ﷺ، وأتباعهم بإحسان من التَّابعين، وأتباع التَّابعين، والأئمة الأربعة وغيرهم، من أهل السُّنَّة، هؤلاء: هم أهل السُّنَّة والجماعة، ومن خالفهم فليس منهم، من أثبت ومثل، أو عطل، فهو من أهل البدع، وأهل السُّنَّة برآء منه، وفق اللَّه الجميع.

* * *

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (١٦).

إثبات علو الله على خلقه
وأنه مع خلقه بمعيَّة علمه

قال المؤلف رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨] وقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [المُلك: ١٦-١٧].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] وقوله: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] وقوله: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

الشرح

هذه الآيات الَّتي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الأولى: تتعلق بالعلو والآيات الأخيرات تتعلق بالمعيَّة، واللَّه جلَّ وعلا، قد أثبت لنفسه العلو، فوق العرش، وأنه فِي السماء جلَّ وعلا، وأنَّه يدعى من أعلى، وقد أجمع أهل السُّنَّة على ذلك، أجمع علماء أهل السُّنَّة على أنَّ اللَّه سبحانه فِي العلو، وأنَّه فوق العرش، قد استوى عليه استواءً يليق بجلاله وعظمته كما قال جلَّ وعلا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فِي آيات سبع كلّها أثبت فِيها سبحانه علوه واستواءه على العرش جلَّ وعلا، وهو استواءٌ يليق بجلاله، لا يشبه خلقه فِي شيء من صفاته، وهو يدل على العلو؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال سبحانه: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] يعني: عيسى عليه السَّلام.

وقال جلَّ وعلا: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] فـ(يَصْعَدُ) و(يَرْفَعُ) دلَّ على العلو، فالأعمال ترفع إليه، والكلم الطيب يصعد إليه.

والملائكة تعرج إليه، قال جلَّ وعلا: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

ونبيّنا عليه الصَّلاة والسَّلام عُرِجَ به إليه حتّى جاوز السَّبع الطباق، وسمع كلام الرَّبِّ جلَّ وعلا[١] كل هذا حقٌّ عند أهل السنَّة والجماعة،

(١) انظر/ مدارك السالكين لابن القيم (٢/ ٣٨٣).

يجب إثباته لِلَّه.

وقال سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [المُلك: ١٦-١٧] ومعنى: فِي السماء، يعني: فِي العلو، فالسَّماء المراد بها العلو، وهو اللَّه جلَّ وعلا، وقيل: معنى السَّماء السَّموات. ومعنى (فِي) على، يعنى: على السموات، فإنَّ أريد بالسَّماء العلو، فالمعنى ظاهر، يعني: فِي العلو جلَّ وعلا، وإنْ أريد بالسَّماء السَّماء المبنية، فالمعنى على السَّماء؛ لأنَّ (في) تأتي بمعنى على، كما قال تعالى عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١] يعنى: على جذوع النخل.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبَة: ٢] يعنى: على الأرض، فالمعنى أنَّه فِي السَّماء وفوقها وعالٍ على كلّ شيء جلَّ وعلا، وهذا قول أهل السُّنَّة والجماعة قاطبة أنَّه فِي العلو، وأنَّه فوق العرش خلافًا للمبتدعة من الخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم، واللَّه جلَّ وعلا أثبت لنفسه العلو، وأنَّه فوق العرش، وقال أهل البدع: أنَّه في كل مكان، وهذا جهل باطل وكفر وضلال نسأل اللَّه العافِية، والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب النَّبيّ ﷺ وأتباعهم بإحسان أنَّه سبحانه موصوف بأنَّه فوق العرش، وأنَّه استوى عليه، يعني: ارتفع عليه ارتفاعًا يليق بجلاله، لا يشابهه خلقه فِي شيء من صفاته.

ولـمَّا سُئل الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ إمام دار الهجرة في زمانه وأحد الأئمة الأربعة لما سئل عن هذا؟ قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، وهكذا

روي عن شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن[١]، وعن أم سلمة[٢]، وهكذا قال غيره كالأوزاعي والثوري، وإسحاق بن راهوية، والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة السَّلف.

فالاستواء: معلوم؛ لأنَّ معناه العلو والارتفاع، والكيف: مجهول، ولا يعلم كيفِية صفاته إلَّا هو سبحانه وتعالى، فهو استوى على العرش بلا كيف، وأنَّه ينزل إلى سماء الدُّنيا بلا كيف، ويغضب، ويرضى، ويضحك بلا كيف، ويجيء يوم القيامة بلا كيف، هكذا عند أهل السُّنَّة، لا يعرف صفاته إلا هو سبحانه وتعالى، فهي صفاته حقٌّ وثابتة، يجب إثباتها لِلَّه على الوجه اللَّائق به، لا يشابه خلقه فِي شيء من صفاته جلَّ وعلا، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] لا تقل أنَّه مثل كذا، مثل كذا، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] يعني: لاسمي له، ولا شبيه له، ولا مثيل له سبحانه وتعالى، هذا قول أهل الحقِّ أنَّه في العلو، وأنَّه فوق العرش، وأنَّه استوى عليه استواءً يليق بجلاله وعظمته لا يشابه خلقه في استوائهم، ولا في نزولهم، ولا فِي ضحكهم، ولا في غضبهم، ولا في غير ذلك من الصفات.

والآيات الأخيرة كلُّها فِي المعية الخاصة، والعامة قال تعالى:

---

(١) واللفظ المروي عنه هو: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن اللَّه الرِّسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التَّصديق» أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٩٨) والبيهقي في الأسماء والصِّفات برقم (٢/ ١٥١) والذهبي في العلو برقم (ص ١٣٢) وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو (ص١٣٢).

(٢) أخرجه عنها اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة برقم (٣/ ٣٩٧)، والصَّابوني في عقيدة السَّلف أصحاب الحديث (ص١٧٩)، والذهبي في العلو برقم (ص ٦٥).

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] يعلم كلّ شيء جلَّ وعلا ما فِي السموات وما فِي الأرض، وما مضى وما يأتي يعلم كل شيء، وهو مع عباده أينما كانوا يعني: بعلمه، وهو فوق العرش؛ لكن معهم بعلمه المحيط الَّذي لا يخفى ولايشذ عنه شيء كما قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الأنفال: ٧٥] وقال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] افتتح الآية بالعلم، وختمها بالعلم؛ ليعلم القارئ والسامع أنَّ المراد العلم، وأنَّه فوق العرش جلَّ وعلا، ولا يخفى عليه خافِية جلَّ وعلا.

وهكذا فِي المعيَّة الخاصة: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠] هذه يقوله النَّبيّ ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهما فِي الغار، وقال تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] لموسى وهارون عليهما السّلام، وقال: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] فهذه كلها معية خاصة مع أوليائه، وأهل طاعته وأنبيائه بعلمه وإحاطته، ونصره وتأييده.

فالمعيَّة العامَّة: تتضمن العلم والإحاطة بكلِّ شيء، وأنَّه لا تخفى عليه خافِية، وأنَّه مصرفهم ومدبرهم.

والمعيَّةُ الخَاصَّة: تكون بالزِّيادة مع العلم ككلاأته لأوليائه ونصره لهم وحمايته لهم، كما قوله ـ على لسان نبيِّه لصاحبه ـ وهما فِي الغار: ﴿لَا

تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وقال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ لموسى وهارون: وهم بين يدي فرعون، وقد صانهما اللَّه وحماهما من شره.

وهكذا جميع العباد كلّهم، هو معهم بعلمه الَّذي لا يخفى عليه خافِية يعلم سرّهم ونجواهم، وهو فوق العرش، وعلمه محيط بكل شيء، يعلم ويرى دبيب النَّملة السوداء فِي اللَّيلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويعلم كيف تجري مياه الأنهار والبحار، وما يكون داخل ذلك، وما فِي جميع أرجاء الأرض، وما تكنه الضمائر كل ذلك لا يخفى عليه سبحانه وتعالى، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يُونس: ٦١] أي: حين تشرعون فِيه.

قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحَجّ: ١٧] ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] وقال: ﴿اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥] وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فَاطِر: ١١].

فعلمه العام محيط بالخلق، وعلمه الخاص مع أوليائه، فهو يعلم أحوال عباده الخاصِّين، وأحوال الأمم، وما يأتي فِي آخر الزمان، وما يكون فِي يوم القيامة، وما مضى فِي سالف الأزمان، كلّ ذلك لا يخفى عنه؛ بل هو يعلمه ومحيط به جلَّ وعلا، يجب إثباته له سبحانه وتعالى مع تنزيهه وتقديسه عن مشابهة خلقه فِي شيء من صفاته جلَّ وعلا، هذا قول أهل الحقّ أهل السُّنَّة والجماعة، وفق اللَّه الجميع.

❊ ❊ ❊

ذكر بعض آيات صفة الكلام والقول لِلّه تعالى

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥] وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦] وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥] وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦] وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢] وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحشر: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] وهذا الباب فِي كتاب اللَّه كثير، من تدبر القرآن طالبًا للهُدى منه تبيَّن له طريق الحقِّ.

الشرح

هذه الآيات الكريمات كُلُّها فِي بيان إثبات صفات اللَّه ﷻ تقدَّم جملة من الآيات، وهذه جملة فِي بيان كلام اللَّه سبحانه وتعالى قال: ويقول، وتكَلَّمَ، ويتكلم: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[النساء: ١٢٢] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] إلى غير هذا.

فالآيات في هذا كثيرةٌ فِي إثبات كلامه وندائه، ونجيِّه: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [القصص: ٦٥] ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

فهو سبحانه تكلَّم ويتكلَّم إذا شاء، ونادى ويُنادي إذا شاء سبحانه وتعالى، وكلَّم من شاء من عباده، كما كلَّم موسى عليه السَّلام، ويُكَلِّم أهل الجنَّة، وكلَّم محمدًا ﷺ ليلة المعراج كلّ هذا واقع، فهو سبحانه

وتعالى، يعلم كلّ شيء، ولا تخفى عليه خافِية جلَّ وعلا.

ولقد أنزل القرآن، ونزَّل الوحي على الأنبياء عليهم السَّلام، وهو فِي العلو جلَّ وعلا، ونزَّل كتابه من أعلى، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] فهو سبحانه فِي العلو، وأنزل كتابه التوراة والإنجيل، والقرآن، والزبور كُلُّها منزلة من عند اللَّه، كلّ هذا يجب إثباته لِلَّه، وأنَّه أصدق قيلًا من خلقه سبحانه وتعالى، وإثبات ما بيَّنه لعباده من إنزال كتابه القرآن، وأنَّه هُدىً للنَّاس، وأنَّه أنزله باللُّغة العربيَّة، وأنَّه يقص على بني إسرائيل أكثر الَّذي هم فِيه مختلفون كلُّ هذا حقٌّ، يجب الإيمان به وبكل ما أخبر اللَّه به، ورسوله ﷺ من جهة كلامه، وندائه، وقوله، وتنزيل كتابه، وكتبه على الأنبياء عليهم السَّلام، فأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون هذه الصِّفات لِلَّه على ما يليق بجلاله، وأنَّه قال، ويقول، وتكلَّم، ويتكلَّم، ونادى وينادي، وناجى ويناجي متَّى شاء، وكيفما شاء سبحانه وتعالى.

أمَّا قول أهل الكلام: أنَّه كلام قديمٌ هذا باطل، بل تكلَّم ويتكلَّم إذا شاء كلامه مع نبيَّه محمَّد ﷺ ليلة المعراج فِي وقته، وكلامه مع نبيِّه موسى عليه السَّلام فِي وقته، وكلامه مع النَّاس يوم القيامة فِي وقته، وكلامه مع آدم عليه السَّلام فِي وقته، وكلامه مع أهل الجنَّة فِي وقته، فهو لا زال يتكلَّم إذا شاء سبحانه وتعالى، كما تكلَّم قديمًا يتكلَّم حديثًا، ولا يردُّه رادٌّ عن كلامه جلَّ وعلا، يتكلَّم إذا شاء، ويريد إذا شاء، ويأمر إذا شاء، وينهى إذا شاء لا أحد يمنعه من ذلك سبحانه وتعالى.

وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ من النَّضارة والحسن ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ من النظر، وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ

أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الزيادة: هي: النَّظر إلى وجه اللَّه جلَّ وعلا، فهذه كُلُّها حقٌ، فهو سبحانه ينظر إلى عباده، ويَنظرون إليه يوم القيامة، في الجنَّة، كل هذا حقٌّ، وهذا الباب فِي كتاب اللَّه كثير.

وهكذا فِي السُّنَّة الصَّحيحة كثير من تدبر الكتاب، وتدبَّر السُّنَّة، وجد ذلك واضحًا فِي كتاب اللَّه، وسُنَّة رسوله ﷺ، فِي إثبات الصِّفات كلها لِلَّه ﷻ من العلم، والقدرة، والكلام، والعلو، والرضا، والغضب، والضحك وغير هذا من صفاته جلَّ وعلا، فيجب إثباتها لِلَّه على الوجه اللَّائق باللَّه سبحانه وتعالى، وإمرارها كما جاءت من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، هذا الباب واحد عند أهل السُّنَّة والجماعة إثبات أنَّها حقٌّ، ومعناها حقٌّ، وهي حقٌّ؛ ولكن لا يعلم كيفِيتها إلَّا هو سبحانه وتعالى، مع العلم والإيمان بأنها لا تشابه صفات المخلوقين: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

كما أنَّ ذاته جلَّ وعلا لا تشابه ذواتهم، فهكذا صفاته لا تشبه صفاتهم، وأسماؤه وصفاته كُلُّها حقٌّ، يجب إثباتها لِلَّه على الوجه اللَّائق به سبحانه وتعالى، كما قال الإمام مالك، وسفيان الثَّوري، وابن عيينة، والإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، والإمام الشَّافعي، وغيرهم من أئمة الإسلام بابهم واحد، هذا الباب واحد يجب إثبات آيات الصِّفات وأحاديثها، كما جاءت على الوجه اللَّائق باللَّه سبحانه وتعالى من غير تحريف،ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ بل هي حقٌّ ثابت لِلَّه ﷻ لا يشابه فيها خلقه سبحانه وتعالى، وفق اللَّه الجميع.

❊ ❊ ❊

إثبات صفات اللَّه من صحيح سنته ﷺ كالنُّزول والفرح والضَّحك

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ في سنَّة رسوله ﷺ، فالسُّنَّة تُفسِّرُ القرآن وتُبيِّنهُ، وتدلُّ عليه، وتُعبِّرُ عنهُ، وما وصفَ الرَّسولُ بِهِ رَبَّه ﷻ من الأحاديثِ الصِّحَاح الَّتي تلقَّاها أهلُ المعرفةِ بِالقبولِ، وَجبَ الإيمانُ بِهَا كَذَلِكَ.

فمن ذلك مثل قوله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخرُ، فَيقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِّي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي، فَأَغْفِرُ لَهُ؟**»متفق عليه[(١)].

وقوله ﷺ: «**اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِن التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ**»الحديث متفق عليه[(٢)].

وقوله ﷺ: «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاهُمَا يَدْخلُ الجَنَّة**»متفق عليه[(٣)].

وقوله ﷺ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] برقم (٧٤٩٤)، ومسلم فِي كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب فِي الدعاء والذكر فِي آخر الليل والإجابة فِيه برقم (٧٥٨).

(٢) روي هذا اللفظ فِي الصحيحين عن عدد من الصَّحابة منهم ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب الدَّعوات، باب التَّوبة برقم (٦٣٠٨)، ومسلم فِي كتاب التوبة، باب فِي الحضِّ علي التوبة والفرح بها برقم (٢٧٤٤)، كما أخرجاه عن أنس رضي الله عنه البخاري برقم (٦٣٠٩)، ومسلم برقم (٢٧٤٧).

(٣) سبق تخريجه.

أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ، يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»حديث حسن(١).

وقوله ﷺ: «لاتَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَّ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيد؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ» وفِي رواية: «عَلَيْهَا قَدَمَهُ، فِينْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطِ، قَطِ»متفق عليه(٢).

وقوله ﷺ: يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فيقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ!، فِينَادِي بِصَوْتٍ:«إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِيَتَكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ» متفق عليه(٣).

الشرح

هذه الأحاديث الستة كالَّتي قبلها من الآيات دلَّت، كما دلَّ القرآن على إثبات الصِّفات والأسماء لِلَّه سبحانه، وأنَّه جلَّ وعلا مسمَّى بالأسماء الحسنى، وموصوفٌ بالصِّفاتِ العُلَى، كما جاء فِي القرآن، فكذا فِي السُّنَّة.

---

(١) باللفظ المذكور عن أبي رزين العقيلي ﷺ أورده ابن كثير عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [البَقَرَة: ٢١٤] وفِيه: بدل: « ربنا .. ربك، وبدل غيره...غيثه » وأخرجه ابن ماجه عنه فِي كتاب السُّنَّة، باب فِيما أنكرت الجهمية برقم ١٨١ ولفظه: قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولُ اللَّهِ: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ؟ قَالَ: نَعَم قُلْتُ: لَنْ نَعْدِمَ مِن رَّبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا» وقد حسنه الشيخ الألباني في الصَّحيحة برقم (٢٨١٠).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٤٣)، وأمَّا رواية صفة «الرجل» فقد أخرجاها أيضًا من حديث أنس ﷺالشيخان البخاري برقم (٤٨٥٠)، ومسلم برقم (٢٨٤٦).

(٣) هذا طرف من حديث طويل متفق عليه عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أخرجه البخاري فِي عدة مواضع أولها فِي كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج برقم (٣٣٤٨)، وفِي كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحَجّ: ٢] برقم (٤٧٤١)، ومسلم فِي كتاب الإيمان، باب قوله: يقول الله لآدم أخرج بعث النَّار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين برقم (٢٢٢).

فإنَّ سنَّة رسول اللَّه ﷺ الصَّحيحة تُفَسِّرُ القرآن وتُبَيِّنُه، وتدلُّ عليه، وتعبر عنه، كما دلَّ عليه القرآن؛ لأنَّ اللَّه جلَّ وعلا قال: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النُّور: ٦٢] وقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النِّساء: ٥٩] وقال جلَّ وعلا: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النَّجم: ١-٤].

فكما جاءت الآيات بالصِّفات والأسماء، هكذا جاءت السُّنَّة بالأسماء والصِّفات، فما ثبت فِي السُّنَّةِ الصَّحيحة حكمه حكم ما ثبت فِي القرآن، يجب إثباته لِلَّه، والإيمان بأنَّه وصف لِلَّه، واسم لِلَّه على الوجه اللَّائق باللَّه سبحانه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيِّيف، ولا تمثيل الباب واحد، والحكم واحد، ما جاء في السُّنَّةِ الصَّحيحة حكمه حكم ما جاء فِي القرآن سواء بسواء عند أهل السُّنَّة والجماعة، وذلك مثل قوله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَاسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي؟ فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الفَجْرُ**» متفق على صحته.

أهل السُّنَّة يثبتون هذا النزول، وصفًا لِلَّه، وهو نزول يليق باللَّه لايشابه خلقه في نزولهم، فإنَّ العبد ينزل من أعلى إلى أسفل من سطح جبل مثلًا؛ لكن النزول غير النزول، نزول اللَّه غير نزول عبده، فليس النزول كالنزول.

وهكذا القول: فَيقول اللَّه، وليس القول كالقول، وليس النداء كالنداء، وليس الكلام كالكلام صفات اللَّه تليق به، وهو يستجيب للداعي جلَّ وعلا: «**مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي، فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي، فَأَغْفِرُ لَهُ؟**» فهو الجواد الكريم سبحانه وتعالى، وهو الغفور

الرَّحيم، فيجب إثبات هذه الصِّفات لِلَّه على الوجه اللَّائق به.

وهكذا قوله ﷺ: «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاهُمَا يَدْخلُ الجَنَّة**» ضحك يليق باللَّه لا يشابه خلقه فِي صفاتهم وضحكهم؛ بل صفات اللَّه تليق به وتناسبه جلَّ وعلا.

وهكذا قوله ﷺ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ**» أي: تغيير الأمور، الإنسان قد يقنط وييأس من شدة الجدب، وفرج الله قريب، « **يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ، يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**».

وهكذا قوله ﷺ فِي الحديث الآخر: «**يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فيقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ!، فينَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأمُرُكَ أَن تُخْرِج مِن ذُرِيَتَكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ**» فهذا فِيه إثبات الصَّوت لِلَّه، وأنَّه سبحانه له صوت يسمع ،تسمعه الملائكة، وسمعه موسى ـ عليه السَّلام ـ وسمعه محمد ﷺ ليلة المعراج.

قوله: «**إِنَّ اللَّهَ يَأمُرُكَ أَن تُخْرِج بَعْثَ النَّارِ**»،جاء فِي الحديث: «**أَنَّهُمْ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تُسعُ مَئَةٍ وَتِسعَةٌ وَتِسعُونَ**» هذا بعث النَّار،لا ينجو إلا واحد من الألف، وتسع مئة وتسع وتسعون بعث النَّار، هذا يدلُّ على عظم الخطر؛ ولهذا قال جلَّ وعلا : ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠٣] وقال جلَّ علا : ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعَام: ١١٦] ، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سَبَإ: ٢٠].

ولمَّا سمع الصَّحابة هذا الأمر من كلِّ ألف تسع مئة وتسعة وتسعون عظم عليهم الأمر، قال عليه الصَّلاة والسَّلام فِي تكملة

الحديث: «**لا تخافوا إنَّ التسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج، ومنكم واحد من أمَّة محمَّد غير يأجوج ومأجوج**» فهذا يدلُّ على أن كثرة الدَّاخلين فِي النَّار من يأجوج ومأجوج الَّذين هم من أخبث النَّاس ويخرجون فِي آخر الزَّمان.

كذلك قوله ﷺ: «**لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَّ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟حَتَّى يَضَعَ الجَبَّارُ فِيهَا رِجْلَهُ**» وفِي رواية: «**قَدَمَهُ فِينْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ**» أي: حسبي حسبي ففيه إثبات القدم، والرِّجل لِلَّه على الوجه اللَّائق به فهو سميع، بصير له يد، وله قدم كلُّها صفات تليق به لا يشابه خلقه فيها لا في سمعه، ولا في بصره، ولا في يده، ولا في قدمه، ولا في ضحكه، ولا في غير ذلك، فصفاتُ اللَّه وأسماؤه تليق به، وصفات المخلوقين تليق بهم، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

هكذا قال: أهل السُّنَّة والجماعة فِي جميع الصِّفات بابها واحد خلافًا للجهمية، والمعتزلة، والأشعرية وغيرهم، ممن ألحد فِي صفات الله، فالجهمية نفوا أسماء اللَّه وصفاته جميعًا، والمعتزلة نفوا الصِّفات، وأثبتوا الأسماء المجردة من المعاني، والأشعرية [١] وطوائف أخرى نفوا بعضًا، وأثبتوا بعضًا.

والصَّواب: هو إثبات جميع ما جاء فِي الكتاب والسُّنَّة من أسماء اللَّه وصفاته، كلَّما صحَّ به الخبر عن رسول اللَّه ﷺ فهو مثل ما جاء

(١) أثبتوا أسماء اللَّه، ونفوا الصِّفات إلَّا سبعة، منها وهي: الحياة، العلم، القدرة، والإرادة، والسَّمع، والبصر، والكلام، ينظر/ شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس (٢٠٢).

فِي القرآن يجب إثباته لِلَّه على الوجه اللَّائق باللَّه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ بل على حدِّ قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

كذلك حديث: «**اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ..**»[١] فالفرح وصف لِلَّه يليق باللَّه، يفرح لا كفرح المخلوقين، ويرضى لا كرضاهم، ويغضب لا كغضبهم.

فالإنسان الَّذي ذهبت منه ناقته، وهو فِي أرض فلاة واضطجع تحت شجرة ينتظر الموت، ثُمَّ وجد الرَّاحلة عند رأسه فقال: «**مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ**»[٢].

فاللَّه سبحانه أفرح بتوبة عبده من هذا براحلته، مع أنَّه هو الَّذي تَفَضَّل بها، وهو الَّذي يَمُنُّ بها، ويفرح بها من عبده، فهو المنَّان بها والموفِّق لها جلَّ وعلا سبحانه وتعالى، واللَّه الموفق، نسأل الله أن يتوب على الجميع.

❊ ❊ ❊

---

(١) متفق عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه واللَّفظ المذكور لفظ مسلم، ولفظ البخاري قال: قال رسول الله ﷺ «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن أَحَدِكُم، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَد أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلاةٍ» فِي كتاب الدَّعوات، باب التوبة برقم (٦٣٠٩)، ومسلم فِي كتاب التَّوبة، باب فِي الحض على التوبة والفرح بها برقم (٢٧٤٧).

(٢) جزء من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه مسلم فِي الموضع السَّابق.

إثبات صفة الكلام والقول لِلَّه تعالى وعلوه على العرش من صحيح السُّنَّة

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِن أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»(١).

وقوله ﷺ فِي رقية المريض: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَل رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِن رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِن شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ، فيبْرَأُ» حديث حسن، رواه أبو داود وغيره(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري فِي عدة مواضع منها فِي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣] برقم (٧٤٤٣)، ومسلم فِي كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار برقم (١٠١٦).

(٢) أخرجه من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي كتاب الطِّب، باب كيف الرُّقَى برقم (٣٨٩٢)، والنسائي في السنن الكبرى فِي كتاب عمل اليوم واللَّيلة، باب ما يقال من كان به أسر برقم (١٠٨٧٦)، والحاكم فِي المستدرك فِي كتاب الجنائز برقم (١٢٧٢) (١/ ٣٤٤)، والحديث ضعيف من هذا الطريق.

قال سماحة الشيخ الشَّارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إجابته عن سؤال: بعد نهاية الدَّرس فِي حكمه: «الحديث فِي سنده ضعف إلَّا أنَّه يوجد له طرق أخرى لا أعلم حالها؛ لكن أبي داود لعله اطَّلع عليها، فيكون من باب الحسن لغيره وإلَّا سنده عند أبي داود ضعيف؛ لكن معناه صحيح حتَّى لو ما ثبت، الآيات والأحاديث تكفي» ولكنه صحيح من طريق فضالة بن عبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٢١) والحاكم المستدرك في كتاب الطِّب برقم (٧٥١٢) وصححه ووافقه الذهبي (٤/ ٢١٨).

وقوله ﷺ: «أَلا تَأمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ» حديث صحيح[١].

وقوله ﷺ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُم عَلَيْهِ» حديث حسن، رواه أبو داود وغيره[٢].

وقوله ﷺ للجارية: «أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَن أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: اعْتِقهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رواه مسلم[٣]، وقوله ﷺ: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَن تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» حديث حسن[٤].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع برقم (٤٣٥١)، ومسلم فِي كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٤).

(٢) لم أجده مرفوعًا باللَّفظ المذكور، لا عند أبي داود ولا غيره، وإنَّما وجدته موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه، وإن كان لمثله له حكم الرفع أخرجه البخاري فِي كتاب خلق أفعال العباد برقم (٨٩) (١/ ٤٣)، والدارمي في الرَّد على الجهمية برقم (٨١) (ص٥٥)، وابن خزيمة في التوحيد برقم (١٤٩) (١/ ٢٤٢)، والبيهقي فِي الأسماء والصِّفات برقم (٨٥١)، وقال: الذهبي في كتاب العلو إسناده صحيح، وافقه الألباني فِي تعليقه على مختصر العلو برقم (٤٨) (ص ١٠٣)، وقد صححه المؤلف كما هو فِي نص المتن أعلاه، وأمَّا رواية أبو داود فهي عن جبير بن مطعم رضي الله عنه فِي حديث الأوعال الطويل، وفِيه: «إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ» أخرجه فِي كتاب السُّنَّة، باب فِي الجهمية برقم (٤٧٢٦)، كما أخرجه بلفظ آخر عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فِي قصة الأوعال برقم (٤٧٢٣ ـ ٤٧٢٥) وابن ماجه في كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية برقم (١٩٣).

(٣) أخرجه مسلم فِي حديث طويل عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه في كتاب الصَّلاة، باب تحريم الكلام فِي الصَّلاة ونسخ ما كان من إباحة برقم (٥٣٧).

(٤) أخرجه الطبراني من حديث عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه فِي المعجم الأوسط برقم (٨٧٩١) (٨/ ٣٣٦)، وفي مسند الشاميين (١/ ٣٠٥) برقم (٥٣٥) و (٢/ ٣١٨) برقم (١٤١٦)، والهيثمي فِي مجمع الزوائد برقم (٢٠٤) (١/ ٦٠) وعزاه للطبراني فِي الكبير والأوسط، وقال: تفرد به عثمان ابن كثير ولم أر من ذكره بثقة ولا بجرح.

وقوله ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ، فَلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجهِهِ؛ وَلَكِن عَن يَسَارِهِ، أَو تَحتَ قَدَمِهِ**»(١) متفق عليه.

الشرح

هذه الأحاديث من جملة الأحاديث الواردة في الصِّفات سبق بعضها ومراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن يذكر نموذجًا من الآيات والأحاديث الواردة في الصِّفات حتَّى يعرف المسلم ما وراءها، فذكر جملة من الآيات، وجملة من الأحاديث الواردة فِي أسماء اللَّهِ وصفاته، وأنَّ أهل السُّنَّة والجماعة، يؤمنون بما دلَّت عليه من الأسماء والصِّفات، ويمرونها كما جاءت من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيِّيف، ولاتمثيل، ولا ينكرونها كما تفعل الجهميَّة، والمعتزلة، ولا يؤولونها كما يؤولوها جماعة الماتريدية(٢)، والأشاعرة وغيرهم؛ بل يمرونها كما جاءت مع الإيمان بها وإثباتها، واعتقاد ما دلَّت عليه من الصِّفات والأسماء، وينزهون اللَّه عن مشابهة خلقه، فلا تعطيل، ولا تمثيل عند

---

(١) أخرجاه عَن عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَر رضي اللَّه عنهما ولفظهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى بُصَاقًا فِي جِدَارِ القِبْلَةِ فَحَكَّهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى» أخرجه البخاري فِي كتاب الصلاة، باب حك البصاق باليد من المسجد برقم (٤٠٦)، ومسلم فِي كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصَّلاة وغيرها.. برقم (٥٤٧)، واللَّفظ المستشهد به أخرجه مسلم في كتاب الزُّهد، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي السبر برقم (٣٠٠٨).

(٢) الماتردية: هي فرقة كلامية تنتسب إلى أبي منصور محمَّد بن محمَّد الماتريدي السَّمرقندي المتوفى (٣٣٣)، وقد خالفت أهل السُّنَّة والجماعة في بعض المسائل العقدية كالعلو، وعدم حجِّية حديث الآحاد في العقائد، مع الميل إلى القول بالتحسين والتقبيح العقليتين، والقول بالمجاز، والتأويل، والتعويض، ينظر/ الموسوعة العربية العالمية (٢٢/ ٣١).

أهل السُّنَّة، الآيات ثابتة والأحاديث ثابتة معناها صحيح، وليس هناك تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل .

من هذا قوله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ يعني: واسطة فَينظُر أَيْمَنَ مِنْهُ، فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ، فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلقَاءَ وَجهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمرَةٍ، فَمَن لَم يَجِد وَلَو بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[1] متفق على صحته.

هذا يدلُّ على أنَّ التَّكليم عام يوم القيامة «مَا مِنْكُمْ مِن أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ»، لكن أهل الشَّر يكلِّمهم كلامًا يضرهم، كلام غضب عليهم، وأهل الخير كلامًا يسرهم.

وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «أَلا تَأمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ» يعني: فِي العلو، وهكذا قوله ﷺ: «رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ» يعني: فِي العلو، «أَنزِلْ رَحْمَتَكَ» هذا يدلُّ على العلو.

هكذا قوله عليه الصَّلاة والسَّلام فِي حديث الأوعال: «وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» مثل ما تقدَّم فِي قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وهكذا قوله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ، فَلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَن يَمِينِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ وَلَكِن عَن شِمَالِهِ [يسَارِهِ] أَو تَحْتَ قَدَمِهِ»؛ فاللَّه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي لا منافاة، فهو معنا أينما كنا، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

---

(١) جزء مكمل لحديث عدي بن حاتم الَّذي سبق تخريجه فِي المتن في صفحة (٦١).

وقوله ﷺ: «**أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَن تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيثُ مَا كُنتَ**» فهو معه بعلمه، وهو فوق السَّماوات بذاته جلَّ وعلا في العلو، فهو معنا بعلمه، وإحاطته جلَّ وعلا، فهو سبحانه فوق العرش، فوق جميع الخلق، وعلمه في كلِّ مكان لا يخفى عليه خافِية، هو مع أهل البِحار، مع أهل الأرض، ومع جميع النَّاس لا تخفى عليه خافِية بعلمه جلَّ وعلا معهم، كما قال جلَّ وعلا فِي قصة النَّبيِّ ﷺ مع الصِّديق رضي الله عنه حين قال له النَّبيِّ ﷺ وهما فِي الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وكما فِي قوله فِي قصة موسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] فهذه معيَّة خاصَّة، والعامَّة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]

فالواجب على أهل الإسلام أن يعلموا هذا الأمر، وأنَّ اللَّه مع عباده بعلمه، وإحاطته، ومع أوليائه بعلمه وكلاءته، وحفظه وعنايته سبحانه وتعالى، وهو فوق العرش، فوق جميع الخلق قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فهو فوق العرش جلَّ وعلا، وعلمه في كلِّ مكان سبحانه وتعالى.

فالواجب على كلِّ مُكَلَّف، وعلى كلِّ مسلم، أن يعتقد عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة فِي الإيمان بعلو اللَّه، واستوائه على عرشه، وأنَّه سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافِية، وعلمه محيط بعباده أينما كانوا، وفق اللَّه الجميع.

❊ ❊ ❊

إثبات علو اللَّه فوق عرشه لا ينافي قُربه ومعيَّته مع خلقه

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ [السَّبع] وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنزِلَ التَّورَاةِ وَالإنجِيلِ، وَالقُرآنِ، أَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ [نَفسِي] وَمِن شَرِّ كُلِّ [دَآبَّةٍ] أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ: فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ: فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ الظَّاهِرُ: فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ: فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ، اقضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغنِنِي مِن الفَقْرِ**» رواه مسلم[1].

وقوله ﷺ لما رفع الصَّحابة رضي الله عنهم أصواتهم بالذِّكر: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا[2] إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**» متفق عليه[3].

وقوله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرَ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِن اسْتَطَعْتُمْ أَن لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ**

---

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه فِي كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم أو أخذ المضجع برقم (٢٧١٣).

(٢) إلى هذا القدر هو المتفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي عدة مواضع منها: فِي كتاب الجهاد والسِّير، باب ما يكره من رفع الصَّوت فِي التَّكبير برقم (٢٩٩٢) وفِي كتاب الدَّعوات، باب الدُّعاء إذا علا عقبة برقم (٦٣٨٤)، ومسلم فِي كتاب الذِّكر والدُّعاء، باب استحباب خفض الصَّوت بالذِّكر برقم (٢٧٠٤).

(٣) هذا الجزء الأخير من الحديث أخرجه مسلم في نفس الحديث.

الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» متفق عليه[(١)]، إلى أمثال هذه الأحاديث الَّتي يخبر فِيها رسول اللَّه ﷺ عن ربِّه بما يخبر به.

فإنَّ الفرقة النَّاجية أهل السنَّة والجماعة يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر اللَّه به فِي كتابه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكيِّيف، ولا تمثيل؛ بل هم الوسط فِي فرق الأمَّة، كما أنَّ الأمة هي الوسط فِي الأمم، فهم وسط فِي «باب صفات اللَّه» سبحانه وتعالى بين أهل التَّعطيل الجهميَّة، وأهل التَّمثيل المشبَّهة.

وهم وسط فِي «باب أفعال اللَّه تعالى» بين الجبريَّة والقدريَّة وغيرهم، وفِي باب «وعيد اللَّه» بين المرجئة والوعيديَّة من القدريَّة وغيرهم، وفِي «باب أسماء الإيمان والدِّين» بين الحروريَّة والمعتزلة، وبين المرجئة والجهميَّة، وفِي: «أصحاب رسول اللَّه ﷺ» بين الرَّافضة والخوارج.

الشرح

يقول المؤلف رحمه الله: فِي بقية الأحاديث الَّتي ذكرها فيما يتعلق بالصفات منها حديث: **«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ، وَالفُرقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفسِي، وَمِن شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الْأَوَّلُ: فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ: فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ: فَلَيسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ: فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَاغنِنِي مِن الفَقْرِ»**.

---

(١) من حديث جرير بن عبداللَّه أخرجه البخاري فِي كتاب مواقيت الصَّلاة، باب فضل صلاة العصر برقم (٥٥٤)، ومسلم فِي كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصُّبح والعصر والمحافظة عليهما برقم (٦٣٣)، واللَّفظ له.

في هذا الحديث العظيم الَّذي رواه مسلم أنواع من الصِّفات كونه فوق العرش، وكونه ربِّ السَّماوات، وربّ الأرض، وكونه منزل التَّوراة، والإنجيل، والقرآن، كلّ هذا يدلُّ على علوه سبحانه وتعالى، وأنَّه ينزل منه كلّ شيء ينزل منه الأمر، والوحي كلَّه ينزل منه، وهو فوق العرش جلَّ وعلا، فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى.

وكون جميع النَّواصي بيده يصرفها كيف يشاء سبحانه وتعالى، وكونه هو الأول: فليس قبله شيء، والآخر: فليس بعده شيء، والظَّاهر: فليس فوقه شيء، والباطن: فليس دونه شيء، كما جاء فِي القرآن العظيم: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

فهو الأول: ليس قبله شيء، والآخر: ليس بعده شيء، هو الدَّائم الكامل لم يزل موجودًا سبحانه وتعالى، لم يسبقه شيء، ولا يلحقه عدم؛ بل هو دائم أبدًا، وهو الظَّاهر: الَّذي قد ارتفع فوق جميع الخلق، فليس فوقه شيء فِي الأعلى جلَّ وعلا، فهو فوق العرش، والعرش: سقف المخلوقات، وهو الباطن: فليس دونه شيء، لا يحجبه شيء، يعلم أحوال عباده، ويعلم ما فِي الضمائر، وهذا الدُّعاء فِيه وسيلة في طلب قضاء الدَّين والاغناء من الفقر.

كذلك حديث الرؤية: **«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، يَوْمَ القِيَامَةِ، كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَها سَحابٌ، وَكَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»**[1] تُضَامُون من الضيم، ويروى تَضَّامُّون من التضام،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أخرجه البخاري فِي عدة مواضع منها فِي كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النّساء: ٤٠] برقم (٤٥٨١)، ومسلم فِي كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الررؤية برقم (١٨٣).

يعني: لا تتضامون؛ لأنَّ الرُّؤية بارزة لا تحتاج إلى تضام، فالشَّيء الخفِي قد ينضم النَّاس بعضهم إلى بعض كلّ يقول: انظر، انظر؛ لأجل الخفاء، أمَّا رؤيته سبحانه،فهي بارزة واضحة كالشَّمس ليس دونها سحاب، ما يحتاج تضام، ولا ضيم، ولا زحام، كلٌّ يراه وهو في مكانه من غير مشقة.

كذلك الحديث الَّذي فِيه أنَّهم لما رفعوا أصواتهم قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلا غَائِبًا**» كذلك بيَّن لهم أنَّه سبحانه يسمع كلام عباده ودعاءهم، فلا يحتاج إلى رفع الصَّوت المخالف للشَّرع، يكون الرَّفع وسطًا، ولهذا قال: «**لا تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلا غَائِبًا**» كانوا يرفعون أصواتهم، فأمرهم النَّبيَّ ﷺ أن لايفعلوا ذلك، أن لا يبالغوا فِي الرفع إلَّا فِي التلبية هذا مستثنى، جاء رفع الصَّوت في التَّلبية.

أمَّا التَّكبير العادي يكون وسط ليس فيه مبالغة في الرفع، فإنَّكم لا تدعون أصمَّ، ولا غائبًا، فهو فوق العرش، وهو مع عباده يسمع أصواتهم، ويسمع كلامهم جلَّ وعلا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]؛ ولهذا قال: «**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**».

فهو سبحانه قريب لا يحتاج إلى المبالغة في رفع الأصوات بالذكر؛ ولكن إظهارها من باب الذِّكر لِلَّه، لا من باب أَنَّه يحتاج إلى ذلك؛ ولكنه من باب الذِّكر، فرفع الصَّوت بالذِّكر؛ لإظهار ذكر اللَّه جلَّ وعلا، كما يرفع النَّاس أصواتهم بالتَّلبية إظهارًا لذكر اللَّه ﷻ، وإلَّا فهو سبحانه يعلم السِّرَ وأخفى، ويسمع أصوات عباده، وإن أخفوها،

لا تخفى عليه خافية، سميع قريب يسمع أصواتهم وإن خفضوها، ويعلم أحوالهم، وإن أسروها لا تخفى عليه خافية جلَّ وعلا.

فالواجب على المؤمن أن يؤمن باللَّه، وأنَّه سبحانه سميع قريبٌ يعلم أحوال عباده، ويسمع أصواتهم، ويعلم دعاءهم، ولا تخفى عليه خافِية جلَّ وعلا مع كونه فوق العرش، فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى، فهذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة خلافًا لعقيدة أهل البدع.

فعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة عقيدة مستقيمة وسط في هذا الباب وغيره، فهم وسط فِي باب اللَّه، كما أنَّ الأمَّة هي وسط بين الأمم، فأهل السُّنَّة، وسط فِي هذا الباب يثبتون صفات اللَّه وأسماءه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولاتكيِّيف، ولا تمثيل، يعني: يمرونها كما جاءت ولا يحرفونها، ولا يعطلونها، ولا يمثلون صفات اللَّه بصفات خلقه، كما تفعل الجهميَّة، والمعتزلة.

بل هم يثبتونها إثباتًا بريئًا من التَّمثيل، وينزهون اللَّه عن مشابهة خلقه تنزيهًا بريئًا من التَّعطيل، فالإثبات لا يحتاج إلى تمثيل، والتَّنزيه لا يحتاج إلى تعطيل؛ بل يقولون نثبت صفات اللَّه وأسماءه على الوجه اللَّائق بجلال اللَّه من غير تحريف لها، ولا تعطيل لها، ومن غير تكيِّيف لها، ولا تمثيل، فهم وسط في باب صفات اللَّه بين أهل التَّعطيل الجهمية، وأهل التَّمثيل المشبِّهة.

فالجهمية: يعطلون صفات اللَّه وأسماءه، والمشبِّهة: يثبتونها ويقولون: يد كيدي، وصوت كصوتي، وقدم كقدمي، يمثلون وهذا منكر عظيم، وكفر وضلال، فهم وسط بين أهل التَّعطيل الجهميَّة، وبين أهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال اللَّه بين الوعيديَّة

والقدريَّة: يثبتون أفعال اللَّه وأنَّها حقٌّ، فهو جلَّ وعلا ينزل إلى سماء الدُّنيا كلّ ليلة، ويبرز لعباده يوم القيامة حتَّى يرون وجهه الكريم، كما يرون الشَّمس صحوًا ليس دونها سحاب سبحانه وتعالى، ويرضى ويغضب، ويأمر وينهى، ويخلق ويرزق، فأفعاله ثابتة له سبحانه وتعالى خلافًا للجهميَّة المعطلة، وخلافًا للمعتزلة: الَّذين يقولون: بإثبات أسماء اللَّه من دون صفات، أسماء مجردة ليس لها معنى.

كذلك هم وسط فِي صفات اللَّه، بين الوعيدية الَّذين يقولون: إنَّ وعيد اللَّه نافذ، وبين المرجئة: الَّذين يرجئون الأعمال، ويرون العبد إنَّما له قول، واعتقاد، وأمَّا عمله فليس من الإيمان، والوعيديَّة يُمضون وعيد اللَّه، وهم المعتزلة، يقولون: إنَّ صاحب الكبيرة مخلد في النَّار إذا مات على المعاصي، والمرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان شيء؛ لأنَّهم يرون أنَّ العمل ليس من الإيمان، فَيرون قوله، وتصديقه كافِي.

وأمَّا أهل السُّنَّة، فيقولون: الإيمان قول، وعمل، واعتقاد، تضره المعاصي؛ لكن لا توجب خلوده فِي النَّار، كما تقوله المعتزلة، ولا يكفر، كما تقوله الخوارج؛ ولكن المعاصي تضره وتضعف إيمانه وبزوالها والتوبة منها يكمل إيمانه.

وهكذا هم وسط بين الوعيدية من المعتزلة أيضًا، والخوارج، وبين المرجئة، فالخوارج يقولون: الإيمان: قول، وعمل، واعتقاد؛ لكن لا يزيد، ولا ينقص.

وهكذا الوعيدية هم من المعتزلة، يقولون: قول، وعمل، واعتقاد؛ لكن لا يزيد، ولا ينقص، فمن مات على المعاصي صار من

أهل النَّار خالدًا مخلدًا فِيها، وتزيد الخوارج أَنَّه يكفر بذلك مع كونه من أهل النَّار.

أمَّا أهل السُّنَّة، فهم وسط فِي ذلك، يقولون: المعاصي تنقص إيمانه وتضعفه؛ ولكن لا يكفر بها إلَّا إذا استحلها، ولا يخلد فِي النَّار خلافًا للخوارج، وخلافًا للمعتزلة قبحهم اللَّه.

وهم وسط أيضًا فِي أصحاب رسول اللَّه ﷺ بين الرافضة، وبين الخوارج، فالرافضة: غلوا، والخوارج: جفوا، وقاتلوا الصَّحابة وَكَفَرُوا أكثرهم، والرافضة غلو فِي أهل البيت.

أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة، فَيترضون على جميع الصَّحابة ﷺ، ويؤمنون بعدالتهم جميعًا، وأنَّهم خير خلق اللَّه بعد الأنبياء عليهم السَّلام، ويتبرؤون من طريقة الرَّوافض: الذين يغلون في علي ﷺ وأهل البيت ﷺ، فأهل السُّنَّة لا يغلون ولا يجفون، فهم مع الصحابة يترضون عنهم، ويعتقدون أنَّهم أفضل الخلق بعد الرُّسل والأنبياء عليهم السلام، وأنَّهم خيرة هذه الأمَّة؛ ولكن لا يغلون فيهم كما تغلوا الرَّافضة فِي علي ﷺ وأهل البيت ﷺ، ويدعونهم مع اللَّه ويزعمون أنَّهم معصومون، لا هذا، ولا هذا، فالرَّافضة غلوا، وزلوا وضلوا، والخوارج أيضًا جفوا فِي حقِّ الصَّحابة ﷺ ولم يثبتوا عدالتهم.

وأهل السُّنَّة أثبتوا عدالة الصَّحابة ﷺ وفضلهم، وأنَّهم أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام؛ ولكنهم خالفوا الرافضة فِي الغلو، فلم يغلوا فِي علي ﷺ، ولا فِي أهل البيت ﷺ؛ بل ترضوا عليهم وعرفوا فضلهم، وأنَّهم من أهل الخير من استقام منهم على الحقِّ، فهو يرجى له الخير، وعلي ﷺ مثل بقية الصَّحابة، وهو رابع الخلفاء، وله

فضله، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة؛ لكن لا يغلى فيه، ولا يدعى مع اللَّه، ولا يقال: إنَّه معصوم، ولا يقال: إنَّه صاحب الرِّسالة، وأنَّ جبريل عليه السَّلام خان، كلّ هذا باطل؛ لكنه من أفضل الصَّحابة، ومن خير الصَّحابة رضي الله عنه.

ولكن لا يجوز الغلو فيه، ولا في فاطمة رضي الله عنها، ولا في الحسن، ولا فِي الحسين رضي اللَّه عنهما، ولا في غيرهم؛ بل من استقام منهم على الحقِّ من أهل البيت رضي الله عنهم، فله صفة المؤمنين، يدعى له ويترضى عليه؛ ولكن لا يغلى فيه؛ بل يعرف فضلهم، وأنَّهم من خيرة المسلمين، ولهم منزلتهم المعروفة عند أهل السُّنَّة والجماعة، ـ فلا يغلون في أحد من الصَّحابة، ولا يجفون أحدًا؛ بل يعرفون حقَّهم وفضلهم ومنزلتهم الَّتي أنزلهم اللَّه إيَّاها، ويحفظون فيهم وصية رسول اللَّه ﷺ بهم ـ، وفق اللَّه الجميع.

❊ ❊ ❊

وجوب الإيمان بأنَّ اللَّه فوق السَّموات مستوٍ على عرشه وأنه مع خلقه بعلمه

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان باللَّه، الإيمان بما أخبر اللَّه به فِي كتابه، وتواتر عن رسوله ﷺ، وأجمع عليه سلف الأمَّة، من أنَّه سبحانه فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك فِي قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أنَّه مختلط بالخلق، فإنَّ هذا لاتوجبه اللُّغة؛ بل القمر آية من آيات اللَّه من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السَّماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق عرشه، رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطَّلع عليهم.. إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

وكلّ هذا الكلام الَّذي ذكره اللَّه ـ من أنَّه فوق العرش، وأنَّه معنا ـ حقٌّ على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يُصَان عن الظُّنون الكاذبة، مثل أن يظنَّ أنَّ ظاهر قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، أنَّ السَّماء تظلُّه أو تقلّه، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، فإنَّ اللَّه قد وسع كرسيّه السَّموات والأرض، وهو يمسك السَّموات والأرضَ أن تزولا، ويمسك السَّماء من أنَّ تقع على الأرض إلَّا بإذنه ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الرُّوم: ٢٥]».

الشرح

هذا الفصل أهم فصول هذا الكتاب وهو مطابق لما تقدَّم فِي أول الكتاب، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان باللَّه، الإيمان بأنَّه سبحانه وتعالى فوق السَّماء، فوق عرشه بائن من خلقه»، وهذا ثابت بالنَّص من الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمَّة، فجميع سلف الأمة رحمهم اللَّه تعالى آمنوا بأنَّ اللَّه سبحانه وتعالى، فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، بائن، يعني: منفصل عن خلقه ليس فِي خلقه شيء من ذاته، وليس فِي ذاته شيء من خلقه؛ بل هو منفصل عنهم، كما قال عبداللَّه بن المبارك وغيره: «**نعرف ربنا بأنَّه فوق سماواته، فوق عرشه بائن من خلقه، وعلمه فِي كلِّ مكان**»[1].

وهكذا يقول: السَّلف جميعًا، رحمهم اللَّه أنَّه سبحانه فوق السماوات، فوق العرش، وعلمه فِي كل مكان، ولا تنافِي بين عموم علمه، وبين علوه وفوقيته، فهو سبحانه فوق العرش، مع هذا علمه محيط بكلِّ مكان محيط بكلِّ شيء علمًا، كما قد جمع بين هذا وهذا فِي قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ يعني: يخبرهم ﴿بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

---

(١) أخرجه عبداللَّه بن الإمام أحمد في كتاب السُّنَّة برقم (٤٤) ص١٣، والدَّارمي في الرَّد على الجهمية برقم (٦٧) (ص٤٧)، وابن بطة في الإبانة برقم (٢٥٢٨) (٢/ ١٤٨)، والبيهقي فِي الأسماء والصِّفات برقم (٨٦٢) (٢/ ٤٣٩)، والذهبي فِي العلو وقد صححه ووافقه الشيخ الألباني في مختصر العلو برقم (١٥٠) ص (١٥١).

فبدأها بالعلم وختمها بالعلم، فدلَّ ذلك على أنَّ العلم غير العلو، علمه بكلِّ شيء أمر ثابت بالنُّصوص من الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمَّة، وهكذا علوه فوق عرشه ثابت بالنُّصوص، فلا تنافي بين هذا وهذا؛ بل يجب أن يُصَان عن الظُّنون الكاذبة مثل أنْ يظن أنَّ السَّماء تقلّه، أو تظلّه، أو أنَّه فِي حاجة إليها لا؛ بل هو الَّذي أقامها أقام السَّموات، وأقام العرش، وهو الَّذي يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فَاطِر: ٤١] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الرُّوم: ٢٥].

فالمخلوقات كلّها قائمة به جلَّ وعلا، فهو الممسك لها والمِقيم لها والمدبر لها، وهو الخالق لها،وهو فوق العرش فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى، فكونه معنا حقٌّ، وكونه فوق العرش حقٌّ على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولا يُظنُّ أنَّه مختلط بالخلق، كما تقول: المعتزلة والجهميَّة وغيرهم من نفاة الصِّفات؛ بل هو سبحانه فوق العرش، وعلمه في كلِّ مكان لا تخفى عليه خافية جلَّ وعلا، لا في السَّماء، ولا في الأرض.

فيجب أن يكون المؤمن على هذه العقيدة العظيمة الثَّابتة في الكتاب والسُّنَّة الَّتي أجمع عليها سلف الأمَّة من أصحاب النَّبيّ ﷺ ومن بعدهم، وأنَّ العلو لا ينافي المعيَّة والعلم والإحاطة، العلو شيء، والعلم بالأشياء شيء آخر، فلا يزول، ولا يعزب عن علمه شيء، لا فِي الأرض، ولا فِي السَّماء مع أنَّه فوق العرش فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطّلَاق: ١٢] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفَال: ٧٥] قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البَقَرَة: ٢٠] وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] وفق اللَّهُ الجميع.

الإيمان بقربه لا ينافِي علوه وفوقيته وأن القرآن كلامه منه نزل

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقد دخل فِي ذلك الإيمان: بأنَّه قريب مجيب، كما جمع بين ذلك فِي قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

وقوله ﷺ للصحابة رضي الله عنهم، لَمَّا رفعوا أصواتهم بالذِّكر: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلا غَائِبًا..، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**»(١).

وما ذكر في الكتاب والسُّنَّة من قربه ومعيته، لا ينافي ما ذكره من علوه وفوقيَّته، فإنَّه سبحانه ليس كمثله شيء فِي جميع نعوته، وهو عَلِيٌّ فِي دنوه، قريب فِي علوه.

ومن الإيمان باللَّه وكتبه، الإيمان بأنَّ القرآن كلام اللَّه منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأنَّ اللَّه تكلَّم به حقيقة، وأنَّ هذا القرآن الذي أنزله على محمَّد ﷺ هو كلام اللَّه حقيقة، لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنَّه حكاية عن كلام اللَّه، أو تعبير عنه؛ بل إذا قرأه النَّاس، أو كتبوه فِي المصاحف، لم يخرج بذلك عن أنْ يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإنَّ الكلام إنَّما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا، وهو كلام اللَّه حروفه ومعانيه؛ ليس كلام اللَّه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف».

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٦٦).

الشرح

يُبَيِّن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه دخل فِي الإيمان باللَّه وأسمائه وصفاته المتقدِّم فِي المقدمة دخل في ذلك أيضًا الإيمان: بأنه قريبٌ مجيبٌ سبحانه وتعالى، فكونه عاليًا فوق العرش، لا يمنع من كونه قريبًا مجيبًا سبحانه وتعالى، فهو عَلِيٌّ فِي دنوه، قريب فِي علوه، كما ذكر المؤلف، فهو قريبٌ مجيبٌ، وهو العلي الأعلى سبحانه وتعالى فوق العرش، فوق جميع السَّماوات، فوق جميع الخلائق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦] فهو سبحانه قريب من داعيه مجيب لعباده جلَّ وعلا إذا اقتضت حكمته إجابتهم.

وهكذا قوله ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ،أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**» لما سمع بعض أصحابه يرفعون أصواتهم فِي السفر قال: «**إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلا غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**»، وفِي لفظ: «**إِنَّمَا تَدعُونَ سَمِعيًا بَصِيراً قَرِيبًا، أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**».

فهو سبحانه مع علوه وكونه فوق العرش، لا يمنع ذلك من كونه قريبًا مجيبًا يسمع دعاء الدَّاعي، فهو سميع الدُّعاء قريب الإجابة، سميع قريب سبحانه وتعالى،وقد كرر ذلك فِي آيات كثيرة فِي وصفه بأنَّه سميع، ويسمع السِّر وأخفى، ولا تخفى عليه خافِية جلَّ وعلا، وهكذا فِي الأحاديث.

فما ذكر من علوه وفوقيته، لا ينافِي ما ذكره من دنوه، وقربه ومعيته، فهو مع عباده بعلمه واطِّلاعه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾[الحديد: ٤]

وهو مع أوليائه بعلمه وحفظه وكلاءته، ونصره وتأييده سبحانه وتعالى.

فالواجب على كلِّ مؤمن ومؤمنة الإيمان بذلك، وأنَّه سميع قريب، وأنَّ علوه جلَّ وعلا، فوق العرش لا ينافِي قربه من عباده وسماعه دعاءهم جلَّ وعلا، فهو سميع قريب، وهو عليٌّ عظيم جلَّ وعلا، كما: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فَاطِر: ١٠].

ومن الإيمان باللَّه: الإيمان بأنَّ القرآن كلام اللَّه سبحانه وتعالى، وأيضًا من الإيمان بكتب الله، الإيمان بأنَّ القرآن: وهو كتابه المنزل على عبده ورسوله خاتم النَّبِيِّين محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، وهو كلام اللَّه، حروفه، ومعانيه، يجب الإيمان بأنَّه كلام اللَّه منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأنَّ كونه يكتب فِي المصاحف ويقرأ، ويحفظ لا ينافِي ذلك، فهو محفوظ فِي الصُّدور مكتوب في الصُّحف مسموع بالآذان، وهو مع هذا هو كلام اللَّه جلَّ وعلا حروفه ومعانيه، ولا يجوز إطلاق القول بأنَّه حكاية عن كلام اللَّه، أو تعبير عنه، كما تقول الأشاعرة وغيرهم من الكلابية[1] وغيرهم، لا هو كلام اللَّه حروفه، ومعانيه ليس عبارة عن كلام الله، ولا حكاية؛ بل هو نفسه كلام اللَّه فقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] كلام اللَّه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢] كلام اللَّه ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾ كلام اللَّه، وجميع الآيات، وجميع الكلم كلها كلام الله، من أوله إلى آخره

---

(١) الكلابية: هم أتباع أبي محمد عبداللَّه بن سعيد بن كُلاب القطان البصري (ت٢٤٠هـ)، ومن أقوالهم أنَّ القرآن معنى قائم بالنَّفس، وقد انقرض مذهبهم وتبنى أقوالهم الأشاعرة. ينظر/ مقالات الإسلامين للأشعري (١/ ٢٤٩-٢٥٢)، والفضل لابن حزم (٤/ ٢٠٨).

حروفه ومعانيه، ليس كلام اللَّه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهذا كلام اللّه.

ومعانيه من الحياة والقيومية، والحفظ والكلأة كلّ هذا كلامه سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠] فكلام اللّه سبحانه يشمل الحروف والمعاني عند أهل السُّنَّة والجماعة، وفق اللَّهُ الجميع.

❊ ❊ ❊

وجوب الإيمان باليوم الآخر وما فِيه من عذاب ونعيم

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقد دخل أيضًا فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله الإيمان: بأنَّ المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانًا بأبصارهم، كما يرون الشَّمس صحوًا ليس بها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر لايُضامُّون فِي رؤيته، يرونه سبحانه، وهم: فِي عرصات[1] القيامة، ثُمَّ يرونه بعد دخول الجنَّة، كما يشاء اللَّهِ تعالى.

ومن الإيمان باليوم الآخر، الإيمان: بكلِّ ما أخبر به النَّبِيُّ ﷺ مما يكون بعد الموت: فَيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه.

فأمَّا الفتنة، فإنَّ النَّاس يُفتنون فِي قبورهم، فيقال للرجل: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟[2] ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فيقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسلامُ دِينِي، وَمُحَمَّد ﷺ نَبِيِّي.

وأمَّا المرتاب، فيقول: هاه، هاه، لا أدري سمعت النَّاس يقولون شيئًا فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كلّ شيء إلَّا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق.

---

(١) العرصات: جمع عرصة، وهي كلّ موضع واسع لا بناء فِيه، كما فِي النهاية فِي غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة [عرص] باب العين مع الراء، (ص٦٠٤). والمراد بها: هنا مواقف القيامة.

(٢) أخرجه أبو داود عن البراء مطولًا فِي كتاب السُّنَّة، باب المسألة فِي القبر وعذاب القبر برقم (٤٧٥٣)، والترمذي باللفظ له فِي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة إبراهيم برقم (٣١٢٠).

ثُمَّ بعد هذه الفتنة، إمَّا نعيم، وإمَّا عذاب، إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة الَّتي أخبر اللَّه بها في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون، فيقوم النَّاس من قبورهم لربِّ العالمين «**حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا**»[١]، وتدنو منهم الشَّمس ويلجمهم العرق[٢]، وتنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وتنشر الدَّواوين: وهي صحائف الأعمال، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤] ويحاسب اللَّه الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه، كما وصف ذلك في الكتاب، والسُّنَّة.

---

(١) هذا المقطع جزء من حديث طويل متفق عليه من ابن عباس رضي اللَّه عنهما أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] برقم (٣٣٤٩)، ومسلم في كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة برقم (٢٨٦٠).

(٢) عَنْ سُلَيْم بْنُ عَامِرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي المِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ!، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَ اللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي: بِالْمِيلِ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ أَمِ المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ، قَالَ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ»، أخرجه مسلم في كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب صفة يوم القيامة أعاذنا الله من اهوالها برقم (٢٨٦٤).

وأمَّا الكُفَّار، فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنَّه لا حسنات لهم؛ ولكن تعدُّ أعمالهم فتحصى، فيوقفون عليها ويجزون بها».

الشرح

هذا الفصل في رؤية المؤمنين لربِّهم، تقدَّم أنَّ المؤمنين بالجملة يؤمنون بكل ما أخبر اللَّه به ورسوله ﷺ، من أمر الجنَّة والنَّار، والملائكة، والصُّحف، والميزان، والحساب، والجزاء، وغير هذا من شؤون الآخرة، كلّ هذا يؤمن به أهل السُّنَّة والجماعة على سبيل العموم.

ومن ذلك الإيمان: بأنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة، هذا من أخبار يوم القيامة أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة «عيانًا بأبصارهم» عيانًا: مصدر عاين، يعاين، عيانًا، ومعاينةً مثل قاتل، قتالًا، ومقاتلةً، وحاسب، حسابًا، ومحاسبةً، وجادل، جدالًا ومجادلةً، فهم يرون ربَّهم عيانًا، يعني: بالأبصار رؤية واضحة ليس فيها شك، ولا شبهة: «كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، وكَمَا يَرَوْنَ الشَّمسَ صَحوًا لَيسَ دُونَهَا سَحَاب»[1] كما أخبر النَّبِيّ بهذا عليه الصَّلاة والسَّلام.

أمَّا الكُفَّار، فلا يرون ذلك يحجبون، كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] والمؤمنون يرونه رؤيتان: الرؤية في الموقف رؤية خاصة بهم دون أهل الموقف،

(١) سبق تخريجه في صفحة (٦٦).

ثُمَّ يرونه كما يشاء سبحانه وتعالى فِي الجنَّة فِي الأوقات الَّتي يكشف لهم فيها الحجاب عن وجهه الكريم، فلهم في الجنَّة أوقات معينة يرونه فيها على حسب منازلهم في أوقات متكررةٍ.

ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان بكل ما أخبر اللَّه به ورسوله ﷺ من أمر الآخرة، والجنَّة، والنَّار، والحساب، والجزاء، كلّ هذا يؤمن به أهل السُّنَّة والجماعة.

ومن ذلك: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، أهل السُّنَّة يؤمنون بذلك خلافًا لأهل البدع، فيؤمنون بعذاب القبر ونعيمه، وأنَّ النَّاس يفتنون فِي قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟، فيثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت فِي الحياة الدنيا، وفِي الآخرة، ويضل الله الظَّالمين، كما قال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فالمؤمن يقول: ربي اللَّه، والإسلام ديني، ومحمَّد نبيِّي عليه الصَّلاة والسَّلام، وأمَّا المرتاب الكافر، فيقول: هاه، لا أدري، المنافق والكافر، المنافق: الَّذي أظهر الإسلام وهو كافر، والكافر الصَّريح، فيقول: هاه، لا أدري سمعتُ النَّاس، يقولون: شيئًا فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كلَّ شيء إلَّا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق.

ثُمَّ تقوم القيامة الكبرى بعد هذه الفتنة، يبقى الإنسان إمَّا فِي نعيم، وإمَّا فِي عذاب، فالمؤمن فِي نعيم تنقل روحه إلى الجنَّة، والكافر تنقل روحه إلى النَّار، كما قال سبحانه فِي أهل النَّار من آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فتقوم القيامة الكبرى، ويقوم النَّاس من قبورهم حفاةً عراةً غرلًا، يردُّ اللَّه إليهم أجسامهم ويبعثون، كما خلقهم (حفاةً): لا نعال لهم، (عُراةً): لا كسوة عليهم، (غُرْلا): غير مختونين، يقومون لربِّ العالمين، ويحاسب اللَّه الخلائق جلَّ وعلا، وتنصب الموازين، وتوزن فيها أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فهو السَّعيد، ومن خفت موازينه، فهو الهالك، وتنشر الصُّحف، وتوزع بينهم، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره، كما بيَّنَ فِي القرآن.

وأمَّا الكُفَّار فلا يحاسبون محاسبة من تُوزن حسناته وسيئاته لأنَّهم ليس لهم حسنات، لا حسنات لهم؛ ولكن تُحصى عليهم أعمالهم، وَيُقرُّون بها ويجزون بها، يعني: يساقون إلى النَّار، تحصى عليهم أعمالهم ويعترفون بها، ويقرعون بها، ثُمَّ يساقون إلى النَّار، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر: ٧١] زمرة بعد زمرة، نسأل اللَّه العافية، بأعمالهم الخبيثة، وكفرهم باللَّه ﷻ.

أمَّا أهل الجنَّة فيساقون إلى الجنَّة مكرمين وفدًا زمرًا بعد خلاصهم من الموقف، وبعد مرورهم على الصِّراط، وبعد خلاصهم من العرصة الَّتي يوقفون عليها يساقون إلى الجنَّة وفدًا كلّ يصل منزله، وهو أعلم به من منزله من الدنيا، ويقصدون منازلهم التي أعدها اللَّه لهم بعد انتهائهم من العرصة الَّتي سيأتي ذكرها إن شاء اللَّه.

والمقصود: أنَّ هذا شأن يوم القيامة، يوم عظيم مقداره خمسون ألف سنة، يوم عسير على الكافرين، يسير على المؤمنين، وفِي وسطه تنتهي النَّاس: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]

ينتهون إلى الجنَّة، قبل المقيل، فأهل الجنَّة فِي مقيلهم فِي الجنَّة، وأهل النَّار فِي مقيلهم فِي النَّار، نسأل اللَّه العافِية.

قد فُرغ من حسابهم وربُّك جلَّ وعلا، هو الحكم العدل لا يظلم مثقال ذرة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] ويقول سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ويقول سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] انظر بعد ذلك كم يكون مثاقيل الذر؟ إذا تصدقت بريال، أو لقمة أو تمرة كم فِيها من مثقال ذرة، لقمة واحدة تعطيها للفقير، أو تمرة كم تزن من ذرة؟! فكيف بمن يتصدق بالأموال الجزيلة، والطعام الكثير، سوف يجد ذلك إذا أخلص لِلَّه، وصدق فِي ذلك: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

ويروى عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أنَّه تصدَّق بحبة عنب فقيل له في ذلك ما قيمتها؟ قال: «كم تزن هذ الحبَّة من مثاقيل الذر»[١].

المقصود: أنَّ الإنسان لا يحتقر الصَّدقة، ولو قَلَّتْ حسب طاقته يتصدق بريال، بخمسة ريالات، بلقمة يعطيها السائل تمرة أو تمرتين

(١) لم أجد رواية لابن عمر رضي الله عنهما بهذا المعني، وإنَّما وجدت عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بلفظ: أن مسكينًا استطعمها وبين يدها عنب، فقالت لإنسان: خذ حبة، فأعطيه إياها فجعل ينظر إليها ويتعجب! فقالت: أتعجب كم ترى فِي هذه الحبة من مثقال ذرة. ذكره ابن عبد البر فِي الاستذكار باب الترغيب فِي الصدقة: برقم (١٨٨١) ٨/ ٦٠٢ وقال: قد جاء مثل هذا عن عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن مالك رضي اللَّه عنهما.

إلى غير ذلك، سبق أن ذكرنا لكم غير مرة، أنَّ امرأة جاءت إلى بيت النَّبِيّ ﷺ ومعها ابنتان لها، سائلة، قالت عائشة رضي الله عنها فلم تجد في البيت إلَّا ثلاث تمرات صادف أنَّه ليس في البيت إلَّا ثلاث تمرات - فأخذتها وسلّمتها للمرأة السَّائلة، فدفعت المرأة لكلٍّ واحدة من ابنتيها تمرة، وأخذت الثَّالثة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها التمرة الثَّالثة - صارتا أسرع منها أكلتا تمرتيهما، وطلبتا الثَّالثة فشقتها بينهما نصفين، ولم تأكل شيئًا، قالت عائشة: فأعجبني شأنها، فلما جاء النَّبِيّ ﷺ أخبرته بشأنها، فقال: «**إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ**»[1]، يعني: بهذه الرَّحمة رحمت ابنتيها، وشقت التمرة بينهما ولم تأكل شيئًا، هذا يدل على أنَّ الصدقة ولو بالقليل عن إخلاص عن صدق فيه خير كثير، المهم أن تتصدق بما تيسر، الَّذي يستطيع مئة ريال، والَّذي يستطيع ألف ريال، والَّذي يستطيع ريال بريال، والَّذي يستطيع تمرة أو لقمة أو ثوب إلى غير هذا، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] نسأل اللَّه أن يوفق الجميع.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات برقم (٢٦٣٠)، وقد رويا القصة بلفظ: «تمرة واحدة» أخرجها البخاري في كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة برقم (١٤١٨)، وفي كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته برقم (٥٩٩٥)، ومسلم في الكتاب والباب السابقين برقم (٢٦٣٠).



إثبات الحوض والصِّراط[١]

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وفي عرصات القيامة الحوض المورود للنَّبِيِّ ﷺ ماؤه أشدُّ بياضًا من اللَّبن، وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السَّماء، طوله شهر وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا[٢].

والصِّراط: منصوب على متن جهنَّم: وهو الجسر الَّذي بين الجنَّة والنَّار، يمرّ النَّاس به على قدر أعمالهم، فمنهم من يمرّ كلمح البصر ومنهم من يمرّ كالبرق، ومنهم من يمرّ كالرِّيح، ومنهم من يمرّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمرّ كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف خطفًا، ويلقى فِي جهنَّم، فإنَّ الجسر عليه كلاليب تخطف النَّاس بأعمالهم[٣].

---

(١) الحوض: هو مجمع الماء، انظر/ النِّهاية فِي غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: [حوض] باب الحاء مع الواو (ص٢٤٢)، والمراد به حوض النَّبِيّ ﷺ والصراط: بكسر الراء فِي اللغة: هو الطريق الواضح، كما فِي القاموس المحيط، باب الطاء، فصل الصاد مادة [صراط] وفِي الشَّرع: فما بينه المصنف أعلاه فِي المتن بأنه: الجسر الممدود على متن جهنم الذي بين الجنة والنَّار.

(٢) روى أحاديث الحوض أربعون من الصَّحابة، وكثير منها أو أكثرها فِي الصَّحيح، كما قال ابن القيِّم في حاشيته على سنن أبي داود (٢/ ٤٢٥)، واللَّفظ المذكور أخرجه مسلم من حديث أبي ذر وثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيِّنا محمَّد ﷺ برقم (٢٣٠٠، ٢٣٠١)، دون قوله: «طوله شهر وعرضه شهر» وفِيه بدل ذلك تحديد المسافة بإليا وعمان.

(٣) جاء هذا المعنى فِي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد اتفق عليه الشَّيخان أخرجه البخاري فِي كتاب التَّوحيد ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣] برقم (٧٤٣٧)، ومسلم فِي كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (١٨٢).

فمن مرَّ على الصرِّاط، دخل الجنَّة، فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة[(١)] بين الجنَّة والنَّار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا، أذن لهم فِي دخول الجنَّة[(٢)]».

الشرح

هذا بحث الحوض المورود، والصِّراط الموعود، الحوض المورود هذا للنَّبِيِّ ﷺ وهو الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] يعني: يصب فيه من الكوثر، وإلَّا الكوثر في الجنة، هذا حوض يصب فيه ميزابان من الكوثر.

والحوض هذا في الدُّنيا في الأرض يصب فيه ميزابان من الكوثر، يردّ عليه المؤمنون من أتباع محمَّد ﷺ طوله شهر، وعرضه شهر، آنيته عدد نجوم السماء، ماؤه أشدُّ بياضًا من اللَّبن، وطعمه أحلى من العسل من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، حتَّى يدخل الجنَّة، فالمؤمنون: يردونه ويشربون منه، وهم أتباع النَّبِيّ ﷺ ويذاد[(٣)] عنه أقوام، فيسألون: فيقول: يا رَبّ لِمَاذَا؟ فَيُقَالُ: **«إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِينَ**

---

(١) القنطرة: هي الجسر وما ارتفع من البنيان، كما فِي القاموس المحيط، باب الراء، فصل القاف مادة: [قنطرة] (ص ٤٣٤). وهذه القنطرة، قيل: هي طرف الصرّاط مما يلي الجنَّة، وقيل: هي صراط، وجسر آخر، والجسر: فِي الأصل ممر على الماء من نهر ونحوه، أي: المعبر، والمهم أن المؤمنين يوقفون عندها .

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ فِي كتاب المظالم، باب قصاص المظالم برقم (٢٤٤٠)، وفِي كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة برقم (٦٥٣٥).

(٣) الذَّود: الدفع والطرد والمنع، يقال: ذاد عن حرمه وعن وطنه، إذا قاتل العدو ومنعه من دخولها، وذاد الدوآب عن المورد وفِي التنزيل: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ﴾ [القَصَص: ٢٣] أي: تمنعان دوابهما من حياض الرعاة، انظر/ القاموس المحيط مادة [ذود] باب الدال، فصل الذال مادة: [ذود] ص ٢٦٨.

مُنذ فَارَقتَهُم» فيمنعون من وروده، ويقول: «بُعْدًا، بُعْدًا لِمَن بَدَّلَ بَعْدِي»(١).

هذا يدلُّ على أنَّ هذا الحوض يختصُّ به المؤمنون الَّذين ماتوا على اتِّباع النَّبيّ ﷺ وعلى دينه، أمَّا المرتدون الَّذين ارتدوا بعد النَّبيّ ﷺ أو في غير ذلك من الأوقات عن دينهم، فإنَّهم لا يردون عليه الحوض، وهكذا كلّ كافر لا يرد عليه الحوض، إنَّما يرد المؤمنون خاصة من أتباعه عليه الصَّلاة والسَّلام.

وللأنبياء أحواض غير حوضه عليه الصَّلاة والسَّلام(٢)؛ لكن حوضه أكملها وأتمها، ويذاد عن حوضه من ليس من آله، كما تذاد الإبل الغريبة، فلا يرده إلَّا المؤمنون الصادقون، أمَّا المرتدون، فلا حظ لهم فِيه، ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّه، نسأل اللَّه أن يجعلنا وإيَّاكم ممَّن يرده.

والصِّراط: المنصوب على متن جهنَّم، هذا الصِّراط: طريق منصوب على متن جهنَّم من سقط منه سقط فِي جهنَّم، وهذا يَرِدُهُ كلّ من دخل الجنَّة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا

(١) طرف من حديث ابن عباس الطويل فِي وصف يوم القيامة أخرجه البخاري فِي عدة مواضع منها: فِي كتاب التفسير، فِي تفسير سورة المائدة ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ﴾ [المائدة:١١٧] برقم (٤٦٢٥)، ومسلم فِي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٦٠).

(٢) فقد جاء فِي الحديث عند الترمذي عَن سَمُرَة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً» قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. عَنْ الْحَسَنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلا وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ سَمُرَةَ، وَهُوَ أَصَحُّ، أخرجه فِي كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فِي صفة الحوض برقم (٢٤٤٣)، وحسنه الشيخ الألباني فِي الصَّحيحة برقم (١٥٨٩).

مَقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مَريَم: ٧١-٧٢].

فالمؤمنون: يردونه وينجون، وغير المؤمن لا يرده أصلًا، ولا يمر عليه؛ بل يساق إلى جهنَّم، نسأل اللَّه العافِية، ويرده أناسٌ، ويمرُّون عليه على هذا الصَّراط، فمنهم من يمرّ كلمح البصر من المؤمنين، ومنهم من يمرّ كالبرق، ومنهم من يمرّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمرّ كالريح، ومنهم من يمرّ كأجود الخيل والركاب تجري بهم أعمالهم على حسب أعمالهم، ومنهم من يمر عليه حَبوًا وزحفًا، يقوم تارةً، ويسقط أخرى، ومنهم من يخطف، ويلقى فِي جهنم، نسأل اللَّه العافِية، كلّ واحد على حسب الأعمال التي مات عليها[١].

ولا ينجو إلَّا المؤمنون الصَّادقون، وما سواهم إلى النَّار نسأل اللَّه العافِية، وبعض النَّاس يمر ويخدش ويسلم وينجو، وبعضهم يسقط، ويعذب بذنبه على قدر معاصيه، ثم يخرجه اللَّه من النَّار إلى الجنَّة، ولا يخلد فِي النَّار إلَّا الكُفَّار، لا يخلد فِيها إلَّا الكُفَّار.

أمَّا المسلمون العصاة السَّاقطون فيها، فهؤلاء يعذبون تعذيبًا مؤقتًا على حسب معاصيهم، ثُمَّ يأذن اللَّه للشُّفعاء، فيشفعون، ومنهم نبيّنا محمَّد أعظمهم شفاعة عليه الصَّلاة والسَّلام، فيحد اللَّه له حدًا من هؤلاء العصاة، فيشفع فيهم، فيخرجون من النَّار، ثُمَّ يشفع.. ثُمَّ يشفع.. ثُمَّ يشفع أربع شفاعات، كل شفاعة يحد اللَّه له حدًا، فيخرجهم من النَّار، ويبقى في النَّار من هذه الأمَّة من عصاتها قوم لم تشملهم الشَّفاعة، فيخرجهم اللَّه بعد ذلك بفضل رحمته سبحانه وتعالى، يخرجهم من النَّار إلى الجنَّة، ويلقون فِي نهر الحياة نهر يقال

(١) متفق عليه عن عدد من الصَّحابة ﷺ منهم أبي هريرة ﷺ سبق تخريجه.

له: نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت الحبَّة فِي حميل السَّيل، فإذا تم خلقهم أذن لهم في دخول الجنَّة[(١)].

وبهذا يعلم المؤمن أنَّ الواجب عليه الحرص على أسباب السَّلامة، وأنَّ هذه أخطار عظيمة لا من جهة الحوض، ولا من جهة الصَّراط، فالواجب عليه أن يسأل اللَّه حسن الختام، وأن يجتهد فِي الثبات على الحق، والاستقامة عليه، والحذر من معاصي اللَّه ﷻ، والحرص على التَّوبة كُلَّما زلت قدمه بارتكاب ذنب بادر بالتَّوبة، ليس بمعصوم؛ لكن يلزم التوبة كُلَّما حسَّ بتقصير أو ذنب بادر بالتَّوبة: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥-١٣٦].

فالمؤمن يحاسب نفسه دائمًا ويراقب، وينظر، ولا يعجب به، ولا يَمنَّ بعمله؛ بل يجاهد نفسه، لعله ينجو، لعله ينجو: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

يقول ابن أبي مليكة[(٢)]: «أَدْرَكْتُ ثَلاثِينَ مِن أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، لَيْسَ فِيهم من يقول: إنه على إيمان

---

(١) طرف من حديث الشفاعة المتفق عليه عن عدد من الصحابة ﭫ واللَّفظ المذكور مروي من طريق أبي هريرة، وأبي مالك، وحذيفة وغيرهم ﭫ وقد تقدَّم تخريج بعض طرقه.

(٢) هو الإمام الحجة الحافظ أبو بكر أو أبو محمَّد عبداللَّه بن عبيد الله بن زهير بن جدعان بن عمرو بن كعب القرشي التيمي المكي، ولد فِي خلافة علي ﭬ أو قبلها، مات سنة [١١٩هـ] انظر/ سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٤٩).

جبريل وميكائيل»[١]، ويقول إبراهيم بن يزيد التميمي: «**مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا**»[٢].

فالواجب الحذر، وعدم المَنِّ بالعمل، والعُجب من العمل إنَّما يتقبَّل اللَّه من المتقين، فالإنسان يجاهد نفسه، ويعرف أنَّه محل نقص ومحل التَّقصير حتَّى يجتهد، ويعرف الحقّ، ويلزم التَّوبة حتَّى يلقى ربَّه وهو عنه راضٍ، نسأل اللَّه للجميع التَّوفِيق والهداية.

❀ ❀ ❀

---

(١) ذكر هذا الأثر البخاري فِي صحيحه معلقًا تعليقًا مجزومًا به تحت عنوان باب فِي كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر بين رقمي [٤٧، ٤٨] ووصله فِي التاريخ الكبير (٥/ ١٣٧) كما وصله الخلال فِي السنة برقم (١٠٨٠).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا فِي نفس الموضع السابق، ووصله فِي التاريخ الكبير ١/ ٣٣٤ برقم (١٠٥٣)، كما وصله الحافظ ابن حجر فِي تغليق التعليق من طريق أبي نعيم ٢/ ٥١ كما أورده من قبل ابن أبي شيبة فِي مصنفه برقم (٣٤٩٧٠) ٧/ ١٦٠ كما أورده ابن سعد فِي الطبقات الكبرى ٦/ ٢٨٥.

أوَّل من يستفتح الجنَّة ويدخلها نبيُّنا محمَّد ﷺ وله فِي الآخرة عدة شفاعات

قال المؤلف رحمه الله:

«وأوَّل من يستفتح باب الجنَّة محمد ﷺ(١) وأول من يدخلها من الأمم أمته ﷺ(٢)، وله ﷺ فِي القيامة ثلاث شفاعات:

أمَّا الشَّفاعة الأولى: فيشفع فِي أهل الموقف حتَّى يُقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم عليهم السَّلام عن الشَّفاعة، حتَّى تنتهي إليه(٣).

وأمَّا الشَّفاعة الثَّانية: فيشفع فِي أهل الجنَّة أن يدخلوا، وهاتان الشفاعتان خاصتان له(٤).

وأمَّا الشفاعة الثَّالثة: فيشفع فيمن استحق النَّار، وهذه الشَّفاعة له ﷺ، ولسائر النَّبِيِّين والصِّديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النَّار، أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يَخرج منها.

---

(١) فقد جاء عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فيقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟، فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فيقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»، وفِي رواية له عنه «وأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ»، أخرجه مسلم فِي كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ أنا أوَّل النَّاس يشفع فِي الجنَّة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا برقم (١٩٧، ١٩٦).

(٢) جاء فِي الصحيح عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» أخرجه مسلم فِي كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة برقم (٨٥٥).

(٣) سيأتي حديث الشفاعة فِي الموقف بنصه فِي شرح سماحة الشيخ الآتي، وقد سبق تخريجه.

(٤) شفاعته لدخول أهل الجنَّة، الجنَّة ذكرت في بعض رواية حديث الشفاعة العظمى.

ويخرج اللَّه من النَّار أقوامًا، بغير شفاعة؛ بل بفضله ورحمته، ويبقى فِي الجنَّة فضل عمن دخلها من أهل الدُّنيا، فينشئ اللَّه أقوامًا فيدخلهم الجنَّة.

وأصناف ما تضمنته الدَّار الآخرة من الحساب والثَّواب والعقاب والجنَّة والنَّار، وتفاصيل ذلك مذكورة فِي الكتب المنزلة من السَّماء، والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء، وفِي العلم الموروث عن محمَّد ﷺ من ذلك ما يشفِي، ويكفي فمن ابتغاه وجده».

الشرح

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: أوَّل من يستفتح باب الجنة هو محمَّد ﷺ هو نبيَّنا ﷺ هو أوَّل من يستفتح باب الجنَّة، واللَّه جلَّ وعلا أمر أن لايفتح بابها لأحد قبله ﷺ فهو أوَّل من يستفتح بابها، وأوَّل من يقرع بابها، ويقول له الخازن: أُمرت أن لا أفتح لأحد قبلك، اللَّهم صلِّي عليه وسلِّم، وأوَّل من يدخل الجنَّة من الأمم أمته بعد الأنبياء عليهم السَّلام أمته فأفضل الأمم أمَّة محمَّد ﷺ، وهي أوَّل من يدخل الجنَّة من الأمم.

وله ﷺ ثلاث شفاعات يوم القيامة: الشَّفاعة العظمى فِي أهل الموقف حتَّى يُقضى بينهم، ويحاسبوا، وذلك بعد أن يتراجع الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام عنها آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم، النَّاس إذا اشتدّ الموقف، فيفزع الناس إلى آدم عَلَيْهِ السَّلام، فَيَقُولُونَ: «يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، نَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وَاسَجَد لَكَ مَلائِكَتَهُ، وَعَلَمَكَ أَسْمَاءَ كُلّ شَيءٍ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ يعني: من المشقة والشدة، فَيَقُولُ عَلَيهِ الصَّلاةِ وَالسَّلام: لَسْتُ هُنَالِكُمْ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ

الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ؟!ـ ويذكر خطيئته وهي أكله من الشَّجرة، وهو قد تاب منها؛ ولكن من شدة ورع الأنبياء وخوفهم وكمال إيمانهم عليهم الصَّلاة والسَّلام ـ، **اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فيأْتُونَ نُوحًا عليه الصلاة والسلام: فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ الله إِلَى الأَرْضِ، يعني: بعد ما وقع الشِّرك فِيهم، وقد سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فيقُولُ مِثْلَ مَا قَالَ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَن يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَيَذْكِرُ دَعْوَتَهُ عَلَى أُمَّتِهِ اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةِ والسَّلامَ فَيَأْتُونَ إِبرَاهِيمَ، فَيَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتُهُ الثَّلاث الَّتي كذبها فِي ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾** [الصَّافات: ٨٩] **وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾** [الأنبياء: ٦٣][١]**: فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فيأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلامَ، فَيَقُولُ مثل قولهم: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفسًا لَمْ أُومَرْ بقَتْلِهَا اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فيعتذر عيسى، وَيَقُولُ لهم: مثل ما قال من قبله، إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَن يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، اذهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ عَبْدٌ قَدْ غَفَرَ**

---

(١) ذكر الكذبات الثلاث متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ «ثِنتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ عِنْدَمَا قَالَ: إِنَّهَا أُخْتُهُ» أخرجه البخاري فِي كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، برقم (٣٣٥٨)، ومسلم فِي كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم عليه السلام برقم (٢٣٧١).

اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: فَيَأْتُونِّي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا، اللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم عليه، ثُمَّ يَتَقَدَّم إِلَى رَبِهِ، فَيَسجِدُ تَحْتَ العَرْشِ، بين يدي رَبَّه، ويحمده بمحامد عظيمة يفتحها اللَّه عليه، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسمع، وَسَلْ تُعْطَهْ اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فيشفع فِي أهل الموقف حتَّى يقضى بينهم[١].

ويشفع فِي أهل الجنَّة حتَّى يدخلوا الجنَّة، ثُمَّ يشفع شفاعة أخرى فِي أناس دخلوا النَّار بذنوبهم ومعاصيهم، فيحدّ اللَّه له حدًا، فيخرجهم من النَّار، ثُمَّ يشفع فيحدّ اللَّه له حدًا، فيخرجهم من النَّار، ثُمَّ يشفع فيحدّ اللَّه له حدًا، فيخرجهم من النَّار، ثُمَّ يشفع، فيحد له حدًا فيخرجهم من النَّار، أربع مرات عليه الصَّلاة والسَّلام كما جاء فِي الصحيح[٢].

ويشفع الأنبياء، والمؤمنون والأفراط مثلما قال المؤلف تفاصيل يوم القيامة أمرٌ عظيم، ويبقى فِي النَّار جملة من الموحدين لم تعمهم الشفاعات، ويبقى فِي النَّار جماعة من الموحدين العصاة الَّذين دخلوها بذنوبهم، فيخرجهم اللَّه من النَّار برحمته جلَّ وعلا بغير شفاعة أحد هم البقيَّة قد امتحشوا، واحترقوا بالنَّار، فيلقون فِي نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فإذا تم خلقهم أدخلهم اللَّه الجنَّة بفضل رحمته سبحانه وتعالى، ولا يبقى فِي النَّار من الموحدين أحد، ما يبقى فيها إلَّا الكُفَّار الَّذين كتب اللَّه عليهم الخلود فيها لكفرهم باللَّه، كما

---

(١) سبق تخريج حديث الشَّفاعة وهذه إحدي صيغة.

(٢) جزء من حديث أنس بن مالك ﷺ فِي قصة الشفاعة الكبرى فِي الموقف، أخرجه البخاري فِي كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار برقم (٦٥٦٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة برقم (١٩٢).

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٧] وقال في حقهم: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] وقال تعالى في حقهم: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النّبَإ: ٣٠] وقال في حقهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المَائدة: ٣٧] نعوذ بالله، وقال في حقهم ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيقول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فَاطِر: ٣٧] هذه حالهم، وهذه نهايتهم العذاب السرمدي، نسأل اللَّه العافيَّة أبد الآباد، لا تنتهي النار، ولايخرجون منها، نسأل اللَّه العافيَّة.

أمَّا تفاصيل يوم القيامة: وما يتعلَّق بالميزان، وبحال الميزان، وثقله، وتوزيع الصُّحف وما يصيبهم من الكرب العظيم إلى غير ذلك، كل هذا موجود بعضه في القرآن، وبعضه في الأحاديث الصَّحيحة من أراده وجده، نسأل اللَّه السَّلامة والعافية، لا حول ولا قوة إلَّا باللَّه.

❊ ❊ ❊

الإيمان بالقدر ومراتبه عند أهل السنة والجماعة

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وتؤمن الفرقة النَّاجيَّة من أهل السُّنَّة والجماعة بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

فالدَّرجة الأولى: الإيمان بأنَّ اللَّه تعالى عليم بما الخلق، عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا، وَعَلِمَ جميع أحوالهم من الطَّاعات، والمعاصي، والأرزاق، والآجال، ثُمَّ كتب اللَّه فِي اللَّوح المحفوظ مقادير الخلق، فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ[1].

فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام، وطويت الصحف، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وهذا التَّقدير التَّابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملةً، وتفصيلًا، فقد كتب في اللَّوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد

---

(١) طرف من حديث عبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه أبو داود فِي كتاب السُّنَّة، باب فِي القدر برقم (٤٧٠٠)، والترمذي فِي أبواب القدر عن رسول الله ﷺ باب ١٧ بدون عنوان برقم (٢١٥٥)، وصححه الشيخ الألباني فِي الصحيحة برقم (١٣٣).

الجنين قبل نفخ الروح فِيه بعث إليه ملكًا، فيؤمر بأربع كلمات[١] فيقال له: اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد، ونحو ذلك، فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا، ومنكروه اليوم قليل.

وأمَّا الدَّرجة الثَّانية: فهي مشيئة اللَّه النافذة، وقدرته الشاملة وهو: الإيمان بأنَّ ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنَّه ما في السَّماوات، وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة اللَّه سبحانه لا يكون فِي ملكه مالا يريد، وأنَّه سبحانه على كلِّ شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق فِي الأرض، ولا في السماء إلا اللَّهُ خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا ربَّ سواه، ومع ذلك، فقد أمر العباد بطاعته، وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو: سبحانه يحب المتقين، والمحسنين، والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولايأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولايحب الفساد.

والعباد فاعلون حقيقةً، واللَّه خالق أفعالهم، والعبد هو: المؤمن والكافر، والبر الفاجر، والمصلِّي والصَّائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، واللَّه خالقهم، وخالق قدرتهم، وإرادتهم، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

---

(١) متفق عليه من حديث عبداللَّه بن مسعود ﷺ أخرجه البخاري فِي كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم برقم (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي فِي بطن أمه وكتابه رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته برقم (٢٦٤٣).

وهذه الدَّرجة من القدر يُكذِّب بها عامة القدريَّة الَّذين سمَّاهم النَّبِيّ ﷺ: «**مَجُوسُ هذِه الأُمَّةِ**»[١] ويغلو فِيها قوم من أهلِ الإثبات، حتَّى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويُخرِجون عن أفعال اللَّه وأحكامه حِكَمها ومصالحها».

الشرح

هذا البحث من أنفس البحوث، ومن أجمعها، وهو بحث نفيس عظيم، فِيما يتعلق بالقدر، وقد بسطه المؤلف، وأوضحه، كما بسط ذلك العلَّامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا فِي «شفاء العليل فِي مسائل القضاء والقدر، والحكمة والتعليل».

فالمؤلف هنا بيَّن أمر القدر بيانًا شافِيًا جيِّدًا، فمن أصول أهل السُّنَّة والجماعة، ومن صفات الفرقة النَّاجية، الإيمان بالقدر: خيره وشره، فالفرقة النَّاجية تؤمن بالقدر خيره وشره، من جميع الوجوه.

وإيمانها بالقدر على درجتين، كلّ درجة تتضمن شيئين، فالإيمان بالقدر يتضمن أربعة أشياء،ويقال له أربع مراتب من استكملها استكمل الإيمان بالقدر:

المرتبة الأولى: العلم وأنَّ اللَّه علم الأشياء كلَّها.

---

(١) عن ابن عمر رضي الله عنه عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا، فَلا تَعُودُهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلا تَشْهَدُوهُمْ**» أخرجه أبو داود فِي كتاب السنة، باب فِي القدر برقم (٤٦٩١)، والحاكم فِي المستدرك فِي كتاب الإيمان برقم (٢٨٦) (١/ ٨٥)، وأخرجه ابن ماجه من طريق جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ المُكَذِّبُونَ بِأَقْدَارِ اللَّهِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلا تَشْهَدُوهُمْ، وَإِنْ لَقِيتُمُوهُمْ فَلَا تُسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ**» في كتاب السنة، باب في القدر برقم (٩٢).

والثَّانية: الكتابة.

والثَّالثة: المشيئة ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن.

والرَّابعة: الخلق والإيجاد، وأنَّ اللَّه خالق الأشياء كُلِّهَا اللَّه خالق كلّ شيء سبحانه وتعالى، ليس له شريك فِي الخلق والتَّدبير، فهذه مراتب القدر، أربع مرات: علم اللَّه بالأشياء، علمه محيط بكلِّ شيء، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥] وقال: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطَّلاق: ١٢] وهذا علمه القديم إذْ لم يزل موصوفًا به أزلًا، وأبدًا، لا يعزب عن علمه شيء: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [يُونس: ٦١].

فكل جميع الحوادث والكائنات فِي الدُّنيا والآخرة كلّها معلومة له، لا تخفى عليه خافِية جلَّ وعلا، وهي مكتوبة أيضًا مع العلم كتابة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحَجّ: ٧٠] قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحَديد: ٢٢].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» وكتب فِي اللوح المحفوظ كل شيء، جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

فالدرجة الأولى: من القدر: تشتمل على مرتبتين: هما العلم، والكتابة.

والدرجة الثَّانية: تشتمل شيئين أيضًا: المشيئة، والخلق والإيجاد، فمشيئة اللَّه نافذةٌ ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو الخالق

لكلِّ شيء جلَّ وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] فهو سبحانه علم الأشياء، وكتبها، وهو الخالق لَها ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن.

والعباد لهم أفعال هم لَها فاعلون، أي: لهم أفعال حقيقة منسوبة لهم، فالعبد هو المصلي، والصائم، وهو الحاج، وهو الزاني، والسارق وهو البائع والمشتري، وهو الناكح والمطلق إلى غير ذلك لهم أفعال، فاللَّه سبحانه خالقهم، وخالق أفعالهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وهو سبحانه يحب المتقين، والمحسنين، والمقسطين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، فيحب الخير وأهله، ويكره الشَّر وأهله، يحب الإيمان، والتقوى، ويكره الفساد والكفر والضلال، وكل عبدٍ ميسر لما خلق له، لما سأل الصَّحابة ن النَّبِيَّ ﷺ إن كانت الأمور مقدرة، ومكتوبة ففيم العمل؟، قال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أما أَهْلُ السَّعَادَةِ فيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَة، وأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ: فيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»(١).

فالدرجة الأولى: وهي علم اللَّه قد كان ينكرها غلاة القدرية قديمًا، ثم رجعوا عن ذلك، ومنكروها اليوم قليل، كما ذكر المؤلف

---

(١) هذا طرف من حديث علي ﷺ أخرجه البخاري فِي عدة مواضع من صحيحه منها فِي كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥] برقم (٤٩٤٥)، ومسلم فِي كتاب القدر، باب كيف خلق الآدمي فِي بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته برقم (٢٦٤٧).

ﷺ فعلم اللَّه الأشياء، وكتابته لَها.

وأمَّا الدَّرجة الثَّانية: كونه خالق الأشياء، وكونه مشيئته نافذة يُكَذِّب به عامة القدرية من المعتزلة وغيرهم، وقد سمَّاهم النَّبِيّ ﷺ: «**مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ**» المجوس: هم الَّذين يقولون: إنَّ للعالم خالقين: النَّور: وهو خالق الخير، والظُّلمة: وهو خالق الشَّر، وهؤلاء من جنس الَّذين أشركوا العباد في الأفعال، وقالوا: إنَّ العباد يخلقون أفعالهم، وأنَّها ليست مقدرة عليهم هذه الأفعال؛ بل هم الَّذين يفعلونها، واللَّه ليس خالقًا لَها، وهذا من جهلهم وضلالهم، وهم المعتزلة والقدرية النفاة، وهم بهذا قد كذبوا اللَّه ورسوله وصاروا، بهذا كافرين.

ومن القدرية المجبرة: وهم الجهمية وأشباههم الَّذين يقولون: إنَّ العبدَ مجبور ليس له فعل، ولا له اختيار فهو مجبور، وهؤلاء أيضًا ضالون، وهم الجهمية نفاة الصِّفات، جمعوا مع القول بنفي الصِّفات القول بالجبر، إنَّ العبدَ مجبور ليس له فعل ولا اختيار، وهؤلاء كلهم طوائف ضالة، الجهمية، المعتزلة، القدرية، نفاة، ومنهم الشِّيعة الإمامية؛ لأنَّهم معتزلة نفاة للقدر.

والقدر له تفصيل: القدر السَّابق، قدر حصل منه قدر مفصل، وهو التَّقدير للجنين فِي بطن أمه، والتَّقدير الَّذي يكون فِي ليلة القدر، والتَّقدير الَّذي وقع حين خلق آدم ومسح اللَّه ذريته من ظهره وهذا تقدير مفصل: التَّقدير العمري، والتَّقدير السَّنوي في ليلة القدر، والتَّقدير اليومي كلَّها تفاصيل للقدر السَّابق، لا يخرج جنين ولا غيره، عمَّا كتب له فِي القدر السَّابق؛ ولهذا لما قال الصَّحابة يا رسول الله إذا كانت مقاعدنا من الجنَّة، والنَّار معلومة، كلّ شيء مقدر ففِيم العمل؟ قَالَ:

«اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ: فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ: فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٤-١٠]».

هذا بحث عظيم ينبغي حفظه، وضبطه؛ لأنَّ به تخالف جميع فرق البدع والضلالة بهذا الاعتقاد، تخالف جميع فرق الضلالة في القدرية النفاة، والمجبرة جميعهم تخالفهم، وتعتقد اعتقاد النَّبيّ ﷺ والصَّحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وفق اللَّه الجميع.

❊ ❊ ❊

حَدُّ الإيمان، وحكم مرتكب الكبيرة عند أهل السُّنَّة والجماعة

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«من أصول أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الدِّين والإيمان: قول وعمل، قول القلب واللِّسان، وعمل القلب واللِّسان والجوارح، وأنَّ الإيمان يزيد بالطَّاعة، وينقص بالمعصية.

وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] وقال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

ولا يسلبون الفاسق المِلِّيّ الإسلام بالكُلِّيَّة، ولا يخلدونه في النَّار كما تقوله المعتزلة؛ بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ**

يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[١]، ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم».

الشرح

هذا بحث عظيم من عقائد أهل السُّنَّة والجماعة، أنَّ الإيمان: قول وعمل، قول القلب واللِّسان، وعمل بالقلب والجوارح هذا الَّذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة، خلافًا للمرجئة من المعتزلة والخوارج أيضًا؛ لكن الخوارج: يوافقون على هذا الحدِّ؛ لكن عندهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

وهكذا المعتزلة عندهم لا يزيد، ولا ينقص؛ بل إمَّا يوجد كُلُّه أو يذهب كُلُّهُ، ولهذا كفروا العاصي، وخلدوه في النَّار، والمعتزلة وافقتهم على ذلك فِي حكم الآخرة، وجعلوا العاصي مخلدًا فِي النَّار، والمرجئة أخرجوا العمل من الإيمان، وقالوا: إنَّه قول فقط، أو تصديق فقط، أو التَّصديق والقول، وكلُّ الطَّوائف المذكورة كلّها غالطة وضالة عن السَّبيل.

والصَّواب: الَّذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة، أنَّه قول وعمل، قول بالقلب واللِّسان، وعمل القلب والجوارح.

فالمحبَّة لِلَّه، والخوف منه، والإخلاص له عمل قلبي، والتَّصديق عمل قلبي، والتَّصديق بالقول عمل قلبي، والتَّسبيح والتَّهليل والذِّكر عمل جارحي، والصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والحجّ، والجهاد من

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب المظالم، باب النَّهبى بغير إذن صاحبه برقم (٢٤٧٥)، ومسلم فِي كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله برقم (٥٧).

عمل الجوارح، هكذا أهل السُّنَّة والجماعة عندهم أن الإيمان: قول، وعمل، يزيد بالطَّاعات، وينقص بالمعاصي.

قوله: «قول وعمل» يدخل فِيه الخوارج، والمعتزلة.

وقوله: «يزيد بالطَّاعة وينقص بالمعاصي» إخراج للمعتزلة، والخوارج، والرَّد عليهم، وإخراج المرجئة، بقوله: «قول عمل»، فالواجب على المؤمن أن يعتقد هذه العقيدة، ويعمل بمقتضاها.

ومن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، أنَّهم لا يَسلبون الفاسق الْملي المنتسب لملة الإسلام اسم الإيمان بالكُليَّة، ولا يخلدونه فِي النَّار، فسلب الإيمان كالخوارج، ولا يخلدونه في النَّار كالمعتزلة؛ بل الفاسق يدخل فِي اسم الإيمان المطلق مثل ما فِي قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النّساء: ٩٢] ومثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١١٩] يدخل في خطاب يا أيُّها الَّذين آمنوا، أمَّا فِي مقام المدح والثَّناء، فلا يدخل فِي قوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

ولا يدخل فِي قوله ﷺ: **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»، «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ [لطم] الخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»**[١] إلى أشباه ذلك.

وبهذا يعلم أنَّ المؤمن الكامل لا يدخل فِي حكم المذمومين، والمؤمن النَّاقص يدخل فِي المذمومين **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ**

(١) متفق عله من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أخرجه البخاري فِي كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب برقم (١٢٩٧، ١٢٩٤)، ومسلم فِي كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء برقم (١٠٣).

مُؤْمِنٌ وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ . . .» إلى آخره؛ لأنَّه ناقص الإيمان: «**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» يعني: الإيمان الكامل، فالمؤمنون الكُمَّل يخرج منهم الفسقة.

ووصف الإيمان، هو المسلم الَّذي يخاطب بالإيمان، فقط يدخل فِيه الفاسق فِي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البَقَرَة: ١٠٤] وفِي قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٩].

وفِي قوله ﷺ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ**»[1] يدخل فِي هذا الفاسق، وغير الفاسق؛ لكن إذا جاء الإيمان مطلقًا مع المدح لم يدخل فِيه الفاسق، ومع الإطلاق يدخل الفاسق، كما مرَّ مثل قوله: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾ سمَّاه أخًا، وهو قاتلٌ، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠] وقد بغى بعضهم على بعض ومع ذلك سمَّاهم إخوة.

والخُلاصة: أنَّ الفاسق يدخل فِي اسم الإيمان المطلق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البَقَرَة: ١٠٤] ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النِّسَاء: ٩٢] وأشباه ذلك، ولا يدخل فِي الإيمان الكامل الَّذي مدح أهله مثل ما فِي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفَال: ٢-٣]، «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ . . .**» إلى آخره الحديث؛ لأنَّ فسقه بالمعصية أزال عنه كمال الإيمان، فَيسمَّى مُسلمًا، ويُسمَّى مؤمنًا ناقص الإيمان، أو يُسمَّى مؤمنًا بإيمانه، فاسقًا بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق مؤمن، ولا يسلب

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري فِي كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم، ولا يسلمه برقم (٢٤٤٢)، ومسلم فِي كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٠).

مطلق الاسم، فلا يقال: مؤمن كامل الإيمان، ولا يقال: ليس بمؤمن، إلَّا بهذا القصد، بنية أنَّه ليس بمؤمن كامل، وبهذا يردّ على المعتزلة والخوارج، ويصير المؤمن على عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة فِي هذا الباب العظيم الَّذي ضلت فِيه أفهام وزلت فِيه أقدام، واللَّه المستعان.

* * *

اعتقاد أهل السُّنَّة فِي الصَّحابة وآل البيت رضي الله عنهم أجمعين

قال المؤلف رحمه الله:

«ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول اللَّه ﷺ، كما وصفهم اللَّه به فِي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وطاعة الرَّسول ﷺ فِي قوله: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»[١].

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسُّنَّة، والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صُلح الحديبيَّة ـ وقاتل على من أنفق من بعد الفتح وقاتل، ويفضلون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأنَّ اللَّه قال لأهل بدر وكانوا ثلاث مئة وبضعة عشر: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[٢] وبأنَّه لا يدخل النار أحد

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب فضائل أصحاب النَّبيّ ﷺ، باب قول النَّبيّ ﷺ: «لو كنت متخذ خليلا» برقم (٣٦٧٣)، ومسلم فِي كتاب فضائل الصَّحابة، باب تحريم سب الصَّحابة برقم (٢٥٤١) ورواه مسلم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه فِي نفس الكتاب والباب برقم (٢٥٤٠).

(٢) متفق عليه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب الجهاد، باب الجاسوس برقم (٣٠٠٧)، ومسلم فِي كتاب فضائل الصَّحابة، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه برقم (٢٤٩٤).

بايع تحت الشَّجرة، كما أخبر به النَّبِيُّ ﷺ[١]؛ بل لقد ﷺ ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربع مئة[٢].

ويشهدون بالجنَّة لمن شهد له رسول اللَّه ﷺ كالعشرة[٣] وثابت بن قيس بن شماس[٤] وغيرهم من الصحابة، ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وغيره من أنَّ خير هذه الأمَّة بعد نبيها أبو بكر، ثُمَّ عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم[٥] كما دلَّت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع أنَّ بعض أهل السُّنَّة كانوا قد اختلفوا فِي عثمان وعلي رضي اللَّه عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيُّهما أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا، وربعوا بعلي، وقد قدم قوم عَليًّا، وقوم توقَّفوا؛ لكن استقر أمر أهل السُّنَّة على تقديم عثمان، ثُمَّ علي، وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول الَّتي يضلل المخالف فيها عند

---

(١) يشير بذلك إلى حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنه يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النَّبِيّ ﷺ يقول: «لَا يَدْخُلِ النَّار إن شَاءَ اللَّه مِن أَصْحَابِ الشَّجرة أَحَدٌ الَّذين بايعوا تحتها» أخرجه مسلم فِي كتاب فضائل الصَّحابة، باب فضائل أصحاب الشَّجرة ... برقم (٢٤٩٦).

(٢) أخرج البخاري ذكر العدد عن جابر رضي الله عنه فِي كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية برقم (٤١٥٤).

(٣) هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن، وأبو عبيدة لماروى أبو داود فِي كتاب السُّنَّة، باب فِي الخلفاء برقم (٤٦٤٩)، والترمذي فِي كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب عبدالرحمن بن عوف برقم (٣٧٤٨).

(٤) جاء تبشيره بالجنَّة فِي الصَّحيحين أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النُّبوة في الإسلام برقم (٣٦١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله برقم (١١٩).

(٥) فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: كُنَّا نخير بين النَّاس فِي زمان رسول الله ﷺ فنُخير أبا بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان رضي الله عنهم، وفِي رواية زاده «ثم نترك أصحابه ﷺ لا نفاضل بينهم» أخرجه فِي كتاب فضائل أصحاب النَّبِيّ ﷺ، باب فضائل أبي بكر بعد النَّبِيّ ﷺ برقم (٣٦٥٥)، وفِيه فِي باب مناقب عثمان بن عفان برقم (٣٦٩٨).

جمهور أهل السُّنَّة؛ لكن الَّتي يضلل فيها مسألة الخلافة؛ وذلك لأنَّهم يؤمنون أنَّ الخليفة بعد رسول اللَّه ﷺ أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان، ثُمَّ علي، ومن طعن فِي خلافة أحد من هؤلاء، فهو أضل من حمار أهله...

ويحبون أهل بيت رسول اللَّه ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول اللَّه ﷺ :حيث قال يوم غدير خم: «**أُذَكِرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»(١) وقال أيضًا للعباس عمه، وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم، فقال: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤمِنُونَ حَتَّى يُحِبُوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي**»(٢) وقال: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِن بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِن كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِن بَنِي هَاشِمٍ**»(٣).

ويتولون أزواج النَّبِيّ ﷺ أُمَّهات المؤمنين، ويؤمنون بأنَّهن أزواجه فِي الآخرة خصوصًا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأوَّل من آمن به، وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العاليَّة، والصِّديقة بنت الصِّديق رضي الله عنها، الَّتي قال فيها النَّبِيّ ﷺ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه الطويل فِي كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم (٢٤٠٨).

(٢) أخرجه أحمد فِي المسند (١/ ٢٠٧) وفِي فضائل الصَّحابة برقم (١٧٥٧) ٢/ ٩١٨ وابن أبي شيبه فِي مصنفه باب ما ذكر فِي العباس رضي الله عنه عم النَّبِيّ ﷺ يرقم (٣٢٢١٣)، والبزار فِي مسنده برقم (٢١٧٥) ٦/ ١٣١ والطبراني فِي المعجم الكبير برقم (١٢٢٢٨) ١١/ ٤٣٣.

(٣) أخرجه مسلم فِي كتاب الفضائل، باب فضل نسب النَّبِيّ ﷺ وتسليمه الحُجَّة قبل النُّبوة برقم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه من حديث أبي موسى رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التَّحريم: ١١] برقم (٣٤١١) =

ويتبرؤون من طريقة الرَّوافض الَّذين يبغضون الصَّحابة ويسبونهم، ومن طريقة النَّواصب الَّذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسِّكُون عمَّا شجر بين الصَّحابة، ويقولون: إنَّ هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما هو قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه، والصَّحيح منه هم فيه معذورون: إمَّا مجتهدون مُصِّيبون، وإمَّا مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصَّحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره؛ بل تجوز عليهم الذُّنوب في الجملة، ولهم من السَّوابق والفضائل ما يُجب مغفرة ما يصدر منهم ـ إن صدر ـ حتَّى أنَّهم يغفر لهم من السِّيئات ما لا يُغفر لمن بعدهم؛ لأنَّهم لهم من الحسنات الَّتي تمحو السَّيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول اللَّه ﷺ أنَّهم خير القرون[١].

وأنَّ المُدَّ من أحدهم لو تصدَّق به كان أفضل من جبل أحدٍ ذهبًا ممَّن بعدهم، ثُمَّ إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب، فَيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له، بفضل سابقته، أو بشفاعة محمَّد ﷺ[٢] الَّذي هم أحقَّ بشفاعته، أو ابتلى ببلاء في الدُّنيا كُفِّر به عنه، فإذا كان هذا فِي الذُّنوب المحققة، فكيف الأمور الَّتي كانوا فيها

= ومسلم فِي كتاب فضائل أصحاب النَّبِيّ ﷺ باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﵄ برقم (٢٤٣١)، كما أخرجاه عن أنس ﵁ البخاري فِي كتاب فضائل أصحاب النَّبِيّ ﷺ، باب فضل عائشة برقم (٣٧٧٠)، ومسلم وفِيه باب فضل عائشة برقم (٢٤٤٦).

(١) خيرية قرن الصَّحابة ﵃ قد وردت فِي الصَّحيحين عدد من الصحابة منهم عمران بن حصين ﵁ أخرجه البخاري فِي كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد برقم (٢٦٥٢)، ومسلم فِي كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثُمَّ الَّذين يلونهم ثُمَّ الَّذين يلونهمَ، ثُمَّ الَّذين يلونهم برقم (٢٥٣٥).

(٢) يشير بذلك لحديث أبي هريرة ﵁ وقد سبق تخريجه.

مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا: فلهم أجر واحد[1]، الخطأ مغفور، ثُمَّ القَدر الَّذي يُنكر من فعل بعضهم قليلٌ نزر مغفور فِي جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان باللَّه، ورسوله، والجهاد في سبيله والهجرة والنُّصرة، والعلم النَّافع والعمل الصَّالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ اللَّه عليهم به من الفضائل علم يقينًا أنَّهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنَّهم الصَّفوة من قرون هذه الأمَّة الَّتي هي خير الأمم، وأكرمهم على اللَّه».

الشرح

هذا الفصل من أفضل فصول الكتاب، ومن أهم فصول هذا الكتاب «العقيدة الواسطية» فِي شأن الصَّحابة ﷺ وأرضاهم فيه الرَّدُ على الرَّافضة، والرَّدُ على النَّواصب، وفيه بيان فضلهم ومنزلتهم ﷺ وأرضاهم، وهو فصل عظيم أجاد فِيه المؤلف وأحسن بعبارات واضحة بيِّنة، فمن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة ﷺ وأرضاهم، سلامة قلوبهم، وألسنتهم لأصحاب رسول اللَّه ﷺ فقلوبهم سالمة، يُحبونهم ويترضون عنهم؛ لأنَّ حبَّهم دينٌ ﷺ وأرضاهم؛ لأنَّهم حملة الشَّرع لنا، وخير القرون، فحبّهم دينٌ، فأهل السُّنَّة والجماعة يُحبونهم فِي اللَّه، وقلوبهم سالمة نحوهم؛ بل مملوءة بحبِّهم، وألسنتهم سالمة فلا يسبونهم ولا يعيبونهم؛ بل يترضون عنهم، ويدعون لهم طاعة لِلَّه، قال اللَّه جلَّ

(١) لحديث عمرو بن العاص ﷺ المتفق على صحته، أخرجه البخاري فِي كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ برقم (٧٣٥٢)، ومسلم فِي كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو اخطأ برقم (١٧١٦).

وعـلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ويحفظون فيهم وصيَّة رسول اللَّه ﷺ بهم حيث قال: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلا نَصِيفَهُ**»(١).

فأهل السُّنَّة والجماعة هذه صفتهم قلوبهم وألسنتهم سالمة لأصحاب رسول اللَّه ﷺ، فهم ﷺ زبدة الأمة بعد الأنبياء عليهم السَّلام لا كان، ولا يكون مثلهم ﷺ وأرضاهم، فالواجب حبّهم فِي اللَّه، والتَّرضي عنهم، والكفّ عن مساوئهم فيما شجر بينهم، والإيمان بأنَّهم خير القرون، وأنَّ أفضلهم الخلفاء الرَّاشدون الصِّديق ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان، ثُمَّ علي، وإن كان بعض الصَّحابة قد تنازع فِي تقديم عثمان على علي، أو العكس؛ ولكن استقر أمر أهل السُّنَّة، أنَّ عثمان هو الثَّالث، وأنَّ عليًا هو الرَّابع فِي الخلافة والفضل، فهكذا ينبغي لأهل السُّنَّة والجماعة أن يكونوا بهذا الاعتقاد، وأن يتبرؤوا من طريقة الرَّوافض الَّذين يَسبون الصَّحابة ويؤذونهم، وطريقة النَّواصب الَّذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، فينبغي لأهل السُّنَّة، أن يبتعدوا عن هذا الخُلق الذَّميم.

وكذلك يشهدون لمن شهد له الرَّسول ﷺ بالجنَّة كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وعبداللَّه بن سلام(٢) وعكاشة بن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فقد روى الشَّيخان عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: ما سمعت النَّبِيّ ﷺ يقول: «لأحد يمشي على الأرض أنَّه من أهل الجنَّة إلا لعبداللَّه بن سلام ...» أخرجه البخاري فِي كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبدالله بن سلام برقم (٣٨١٢)، ومسلم فِي كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عبد الله بن سلام برقم (٢٤٨٣).

محصن[١] وجماعة شهد لهم النَّبِيّ ﷺ يشهد لهم، من ثبت أنَّه شهد له النَّبِيّ ﷺ يشهد له.

كذلك يؤمنون بما ثبت فِي أهل بدر حيث قال لهم: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[٢] وبأنَّه لا يدخل النَّار أحد بايع تحت الشَّجرة بيعة الرِّضوان؛ لأنَّه ثبت عنه ﷺ: «**لَا يَدْخلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**» وأنزل اللَّه فِيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] كلُّ هذا من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

فالواجب على أهل الإيمان بعدهم هو السَّير على مناهجهم ويؤمنون بأنَّ الصَّحابة كلّهم خير الأمَّة وأفضلها، وأن ما قد ينقل عن بعضهم من أشياء تُنتقد فهو نزر قليلٌ فِي جنب ما أعطاهم اللَّه من الخير العظيم، فِي جنب فضائلهم وأعمالهم العظيمة، فهو إمَّا يكون قد تاب منه، أو أُتي بحسنات تمحو، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمَّد ﷺ الَّذي هم أحقُّ النَّاس بشفاعته أو ابتلى ببلاء فِي الدُّنيا من مرض، أو غيره كُفِّر به عنه.

هكذا أهل السُّنَّة والجماعة فِي هذه المسائل الَّتي ذكرها المؤلف ﷺ، فينبغي للمؤمن أن يحفظ هذا الفصل جيدًا، وأن يعمل بمعناه، وأن تكون عقيدته راسخة حتَّى يخالف بها جميع أهل البدع من

---

(١) أمَّا عكاشة بن محصن ﷺ فقد دعا له لنَبِيّ ﷺ أن يكون من السَّبعين ألفًا الَّذين يدخلون الجنَّة بغير حساب ولا عذاب، فِي قصته عن ابن عباس ﷺ أخرجها البخاري فِي كتاب الرِّقاق، باب يدخل الجنَّة سبعون ألفًا بغير حساب برقم (٦٥٤١)، ومسلم فِي كتاب الإيمان، باب الدَّليل على دخول طوائف من المسلمين الجنَّة بغير حساب ولاعذاب برقم (٢٢٠).

(٢) سبق تجريجه في صفحة (١١١).

الرَّوافض والنَّواصب، وغيرهم من أهل البدع الَّذين ساءت ظنونهم، أو غلوا فِي أهل البيت، كالرَّوافض، أو ساءت ظنونهم وجفوا فِي حقِّهم كالخوارج، والمعتزلة وأشباههم ممَّن ساءت أقوالهم وأعمالهم فِي أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وآله ﷺ نسأل اللَّه أن يرضى عنهم، ويجعلنا من أتباعهم بإحسانه.

❊ ❊ ❊

الإيمان بكرامات أولياء اللَّه الصَّالحين المتقين

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومن أصول أهل السُّنَّة التَّصديق بكرامات الأولياء، وما يجري اللَّه على أيديهم من خوارق العادات، فِي أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سالف الأمم فِي سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمَّة من الصَّحابة والتَّابعين، وسائر فرق الأمَّة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.

ثُمَّ من طريقة أهل السُّنَّة والجماعة اتِّباع آثار الرَّسول ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتِّباع سبيل السَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، واتِّباع وصيَّة رسول اللَّه ﷺ حيث قال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ مِن بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[١].

ويعلمون أنَّ أصدق الكلام، كلام اللَّه، وخير الهدي هدي محمَّد ﷺ ويؤثرون كلام اللَّه، على غيره من كلام أصناف النَّاس، ويقدمون هدي محمَّد ﷺ على هدي كلِّ أحد؛ ولهذا سموا أهل الكتاب والسُّنَّة، وسموا أهل الجماعة؛ لأنَّ الجماعة، هي: الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين، والإجماع هو: الأصل الثَّالث الَّذي يعتمد عليه فِي العلم والدِّين، وهم يزنون

---

(١) طرف من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أخرجه أبو داود فِي كتاب السُّنَّة، باب فِي لزوم السُّنَّة برقم (٤٦٠٧)، والترمذي فِي كتاب العلم عن رسول اللَّه ﷺ، باب ما جاء فِي الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدعة برقم (٢٦٧٦) وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه فِي كتاب السُّنَّة، باب اتِّباع سنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديين برقم (٤٢).

بهذه الأصول الثَّلاثة جميع ما عليه النَّاس، من أقوال وأعمال باطنة، أو ظاهرة ممَّا له تعلّق بالدِّين، والإجماع: الَّذي ينضبط هو: ما كان عليه السَّلف الصَّالح إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشر في الأمَّة».

الشرح

من أصول أهل السُّنَّة والجماعة، كما قال المؤلف أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ التَّصديق: بكرامات الأولياء، وما ذكر اللَّه عنهم وما ذكره رسول اللَّه ﷺ وما جرى بعد ذلك، والكرامة: هي الخارق للعادة يجري على أيديهم شيء يخرق العادة ليس فِي العادة وجوده على يد المخلوق، يقال: لَها كرامة إذا كان الشَّخص من أولياء اللَّه ... من المؤمنين الصَّادقين، فإن كان من غيرهم، فهو من خوارق السَّحرة، ومن خوارق الشَّياطين، أمَّا ما كان على يد المؤمنين، فهذا من كرامات الأولياء، ولا تكون كرامة، إلَّا إذا عُرف بالاستقامة على دين اللَّه، مثل ما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو طار فِي الهواء، أو مشى على الماء ما يعدُّ وليًا[1] حتَّى يوزن بميزان الكتاب والسُّنَّة، فإنَّ استقام على الكتاب والسُّنَّة، فهو من أولياء اللَّه، وإلَّا فهو من أولياء الشَّيطان، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

ومنهم أهل الكهف أكرمهم اللَّه ثلاث مئة عام نُوِّم وازدادوا تسعًا، ثُمَّ أماتهم اللَّه بعد ذلك هذه آية من آيات اللَّه؛ لإيمانهم

(١) ذكر ذلك في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشَّيطان (ص٤٥) وذكر فيه: اتفاق أهل العلم عليه، كما فِي الفتاوى (٢٥/ ٣١٤).

وتقواهم، جعلهم اللَّه آية وعبرة، وكما جرى لعباد بن بشر، وأُسَيِّد ابن حضير الصَّحابيين الجليلين فِي عهد النَّبِيّ ﷺ خرجا من عند النَّبِيِّ ﷺ فِي ليلة مُظلمة، فأضاءت لهما أسواطهما كلّ واحد صار سوطه سراجًا ينير له الطَّريق حتَّى وصل كلّ واحد إلى بيته إلى أهله(١).

ومن ذلك قصة الطُّفيْل الدّوسي رئيس دوس لما أسلم، تأخر عليه قومه، قال: يا رسول اللَّه أدع اللَّه أن يجعل لي آية لعلهم يهتدون، فسأل اللَّه له أن يجعل له آية يهتدي بها قومه فجعل اللَّه بين عينيه مثل السراج لما أتى قومه، فقال: يا ربِّي! فِي غير وجهي، فجعلها اللَّه فِي سوطه إذا رفع سوطه أنار نورًا، فهدى اللَّه به قومه بأسبابه، وجاء بهم مسلمين(٢).

والمقصود: أنَّ الشَّيء الخارق للعادة، إن كان صاحبه متقيًا لِلَّه معروفًا بالخير فهي كرامة، وإن كان بخلاف ذلك، فهي من مخاريق السَّحرة والشَّياطين، وهم يتبعون فِي هذا الكتاب والسُّنَّة.

ومن أصولهم اتِّباع آثار الرَّسول ﷺ، وما كان عليه خلفاؤه الرَّاشدون وأهل السُّنَّة هذه من طريقتهم، السَّير على منهج الرَّسول ﷺ وعلى آثاره، وآثار خلفائه الرَّاشدين، هذه سنة أهل السُّنَّة والجماعة، ولهذا يقال لهم أهل الكتاب والسُّنَّة، ويقال أهل الجماعة، والجماعة: هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وسمُّوا أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأنَّهم اجتمعوا على الكتاب والسُّنَّة وصدقوا بهما، ووزنوا الأمور بهما،

---

(١) ذكر قصتهما سماحة الشيخ ابن باز فِي فتاوى نور على الدَّرب (٢/ ١٩١، ١٩٢، ١٩٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني فِي معرفة الصحابة ١١/ ١٧٥ برقم (٣٥٠٠)، والبيهقي فِي دلائل النبوة ٥/ ٤٦٠ برقم (٢١٠٨).

فهؤلاء هم: أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأنَّهم اجتمعوا على تعظيم الكتاب والسُّنَّة، والأخذ بهما، وهم يزنون بهذه الأصول الثَّلاثة جميع ما عليه النَّاس من أقوال وأفعال الكتاب هذا الأصل الأول.

والأصل الثَّاني: السُّنَّة الصَّحيحة.

والأصل الثَّالث: الإجماع المنضبط إجماع السَّلف إجماع الصَّحابة فكلّ قول وعمل يفعله النَّاس يوزن بهذه الأصول فما وافقها قُبِلَ، وما خالفها رُدَّ على صاحبه كائنًا من كان وفق اللَّهُ الجميع.



من صفات أهل السُّنَّة التَّحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال

قال المؤلف رحمه الله:

«بيان مكملات العقيدة، من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال الَّتي يتحلَّى بها أهل السُّنَّة، ثُمَّ هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشَّريعة، ويرون إقامة الحجّ، والجمع، والأعياد مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا، ويحافظون على الجماعات ويدينون بالنَّصيحة للأمَّة، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»[1] وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ، وقوله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ**»[2].

ويأمرون بالصبَّر عند البلاء، والشُّكر عند الرَّخاء، والرِّضاء بمرِّ القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»[3].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى أخرجه البخاري فِي كتاب الصَّلاة، باب تشبيك ألأصابع فِي السُّجود وغيره برقم (٤٨١)، ومسلم فِي كتاب البر والصِّلة والآداب، باب تراحم المؤمنين برقم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه من حديث النعمان البخاري فِي كتاب الأدب، باب رحمة النَّاس والبهائم برقم (٦٠١١)، ومسلم فِي كتاب البر والصِّلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٢٥٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة فِي كتاب السُّنَّة، باب الدَّليل على زيادة الإيمان ونقصانه برقم (٤٦٨٢)، والترمذي في كتاب الرضاع عن رسول اللَّه ﷺ، باب ما جاء في حق المراة على زوجها برقم (١١٦٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام وحسن الجوار والإحسان إلى اليتامى، والمساكين، وابن السَّبيل، والرِّفق بالمملوك، وينهون عن الفخر، والخيلاء، والبغي والاستطالة على الخلق بحقٍّ، أو بغير حقٍّ.

ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفاسفها، وكلَّ ما يقولون ويفعلونه من هذا وغيره، فإنَّما هم فِيه متبعون للكتاب والسُّنَّة، وطريقتهم هي دين الإسلام الَّذي بعث اللَّه به محمَّدًا ﷺ؛ لكن لما أخبر النَّبيّ ﷺ أنَّ أمَّته ستفترق على ثلاث وسبعين، فرقة كلُّها فِي النَّار إلَّا واحدة، وهي الجماعة، وفِي رواية عنه أنَّه قال: «**هُمْ مَن كَانَ عَلَى مِثلِ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي**»[١].

صار المتمسِّكون بالإسلام المحض الخالص عن الشَّوائب هم أهل السُّنَّة والجماعة وفيهم الصِّديقون والشُّهداء والصَّالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدُّجى أولوا المناقب المأثورة والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال[٢]، وفيهم أئمة الدِّين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطَّائفة المنصورة الَّذين قال فيهم النَّبيّ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةٌ لَا يَضُرُّهُمْ مَن خَالَفَهُمْ وَلَا مَن خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»[٣].

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (١١).

(٢) الأبدال: جمع بدل: وهم الأولياء العُبَّاد الزُّهاد، سُموا بذلك لأنَّهم كلَّما مات واحد منهم أبدل بآخر مكانه. انظر/ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: [بدل] باب الباء مع الدال (ص ٦٧).

(٣) هذا الحديث قد روي عن عدد من الصَّحابة منهم ثوبان، والمغيرة، وجابر بن عبداللَّه، وجابر بن سمره، ومعاوية وغيرهم أخرجه البخاري فِي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النَّبِيّ ﷺ لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين على الحقّ وهم أهل العلم برقم (٧٣١١)، ومسلم في كتاب الإمارة باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرهم من خالفهم برقم (١٠٣٧) ساقه بعد برقم (١٩٢٣).

فنسأل اللَّه أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذْ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنَّه هو الوهَّاب، وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا».

الشرح

هذه الكلمات الَّتي ذكرها المؤلف عن أهل السُّنَّة والجماعة كلمات عظيمة تكتب بماء الذَّهب ينبغي على كلِّ مؤمن أن يعتقدها، وأن يستقيم عليها، وأن يسير عليها؛ لأنَّها هي قول أهل السُّنَّة والجماعة، ولأنَّ القرآن العظيم، والسُّنَّة المطهرة، قد دلا على ذلك، فأهل السُّنَّة والجماعة، موصوفون بكلِّ خير، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشَّريعة متقيدين بالشَّرع، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

هكذا يرون إقامة صلاة الجمعة والأعياد، والجُمع، والجهاد مع الأمراء أبرارًا كانوا، أو فجارًا لما فِي هذا من استقامة الجهاد، وأمن البلاد، واتحاد الكلمة، وِزْرُه ومعاصيه عليه، ولو كان عنده بعض المعاصي، فيصلون معه الجمع، والجماعات ويجاهدون معه، كما جرى فِي عهد بني أمية، وبني العباس وغيرهم.

ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويدعون إلى أن تصل من قطعك، وتعفو عمَّن ظلمك، وتعطي من حرمك، ويعتقدون ما قاله النَّبيُّ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ»، وقوله

ﷺ: «**الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وقوله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**» كلُّ هذا يعتقده أهل السُّنَّة والجماعة، وهم في كلِّ ما يقولون ويفعلون متقيِّدون بالكتاب والسُّنَّة ليس لهم هدف آخر؛ بل أقوالهم وأعمالهم مقيَّدة بالكتاب والسُّنَّة؛ ولهذا سمُّوا أهل السُّنَّة، وسمَّوا أهل الجماعة، وسمُّوا أهل الكتاب والسُّنَّة؛ لأنَّهم اجتمعوا على ذلك وتعاقدوا على ذلك، وتعاونون على ذلك، فهم أهل السُّنَّة والجماعة، وهم أهل الكتاب والسُّنَّة، كما بيَّن ذلك أهل العلم، وفيهم أئمة الهُدى والعلم الَّذين استقاموا على الدِّين، وتقيَّدوا بالشَّرع، كلّهم داخلون في أهل السُّنَّة والجماعة، وفيهم الأبدال: وهم الَّذين يبدل بعضهم بعضًا، الأبدال: يعني: العلماء الَّذين يخلف بعضهم بعضًا، وينوب بعضهم عن بعض كلما هلك عالم جاء بعده عالم حتَّى يرث اللَّه الأرض ومن عليها هذا حال هذه الأمَّة، كما قال ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَن خَالَفَهُمْ وَلَا مَن خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**» يعني: حتَّى يقرب قيامها بمجيء الرِّيح الطيِّبة الَّتي تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات حتَّى لا يبقى إلَّا الأشرار فعليهم تقوم السَّاعة.

نسأل اللَّه أن لا يجعلنا وإيَّاكم منهم، وأن يعيذنا وإيَّاكم من شرِّ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته.

ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّه، وصلَّى اللَّه وسلَّم على عبده ورسوله نبيّنا محمَّد وعلى آله وصحبه، اللَّهم صلِّ وسلَّم عليه.

❊ ❊ ❊

فهرس الآيات

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

الآية	رقمها	صفحتها

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الصف

سورة المنافقون

سورة التغابن

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

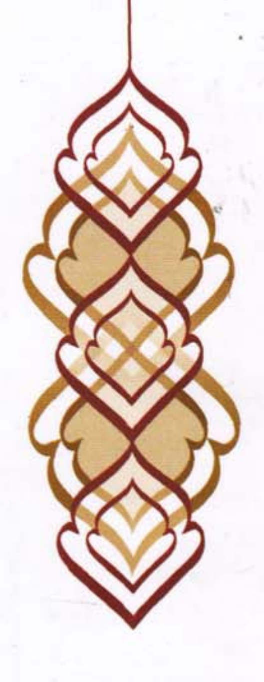
فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com









هاتف : ٩٦٦١١٤٧٩٢٠٤٢..
فاكس : ٩٦٦١١٤٧٢٣٩٤١..
www.madaralwatan.com

